



## الإهداء:

اللهم لك الحمد على جل النعم

ولك الشكر على كل الفضائل والمنن

اللهم لك الحمد على ما بلغت وما أبلغ بإذنك يا رحمان، والصلاة والسلام على خير الأنام

وبعد:

أهدي هذا العمل إلى

والدي الكريمين حفظهما الله

زوجي سندي أعانه الله

إخواني أخواتي

إلى كل الأصدقاء والأحبة

إلى كل من يسعى في طلب العلم أهدي ثمرة جهدي

## شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذتي المشرفة رمز الطيبة ونبع الحنان "تورة بعيو".

إلى رئيسة التخصص الأستاذة نبيلة زويش، رمز التفاؤل والنجاح.

وإلى كل أستاذتي الكرام بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مولود معمري.

وإلى كل من ساندني على إنجاز هذا البحث لكم مني خالص الشكر وأسمى معاني التقدير

والاحترام.

# مقدمة

أشار بعض الدارسين والباحثين إلى موضوع ثنائية الهامش والمركز، وكان ذلك من خلال البحث والتقصي وجمع المعلومات والإلمام بها واستقائها من مصادر مختلفة، سواء من الكتب أو المؤلفات العربية أو من مجموعة دراسات غربية لكتاب وباحثين وأدباء سابقين.

ومن بين المؤلفات العربية التي ذكر فيها موضوع الهامش والمركز نجد كتاب المقدمة للعلامة الكبير ابن خلدون، بالإضافة إلى ما تم أخذه من المعاجم العربية مثل معجم لسان العرب لابن منظور وقاموس المحيط للفيروزبادي.

أما عن الكتاب والدارسين الغربيين، فقد أشاروا إلى موضوع الهامش والمركز في مؤلفاتهم وذكره بطريقة غير مباشرة، إذ مثلوا لهذه الثنائية من خلال إسقاطها على مجالات مختلفة ومجموعة من الظواهر الإنسانية المتعددة.

كما تعتبر الدراسات والبحوث والمقاربات الثقافية الحديثة والمعاصرة من أولى اللبانات التي تناولت تيمة الهامش والمركز بطريقة مغايرة وعالجته من جوانب مختلفة، وتركزت على وجه الخصوص على الشخصيات المهمشة والشخصيات المركزية، والتي تمثلها كثنائية.

وللتعريف بهذا الموضوع وتقريب ماهيته أكثر، عملت هذه المقاربات الثقافية المعاصرة على اتخاذ الرواية كمسلك للتعبير عنه، باعتبارها جنسا أدبيا أكثر ملائمة لرصد جزئيات الحياة وأكثر تصويرا للواقع البشري، سواء للتعبير عن الإنسان المهمش، المعزول والمنبوذ في ظلال الهامش، أو للتعبير عن الإنسان الذي يعيش متنهما بين أضواء المركز المشتعلة ويظل مركزا ساطعا في كل أفق. ولعل الروايات العربية كانت حاضرة في الساحة الأدبية بقوة بما تملكه من طاقات فنية وأقلام أدبية، فهذه تسعى لتكريس كتاباتها في دراسة مثل هذه المواضيع والقضايا المصيرية والواقعية وتعمل على تحديد ماهيتها ورصدها من حيثيات الواقع المعاش.

ومن بين الكتاب والروائيين الذين ظهرت محاولاتهم جلية في دراسة موضوع شخصية الهامش والمركز كثنائية، أو التي اهتمت بدراسة شخصية الهامش المتحول إلى مركز نذكر: بكر السبّاتين من خلال دراسته المؤسسة تحت عنوان "ثنائية المركز والهامش وإسقاطها على الظواهر الإنسانية والسياسية والثقافية، وكذلك دراسة تحسين رزاق عزيز من خلال الرواية التي ترجمها إلى اللغة

العربية والتي كانت بعنوان "ميديا وأبناؤها"، وهي عبارة عن دراسة نقدية ثقافية لشخصية الهامش والسلطة، زد إلى ذلك عبد الرحمان تيرماسين الذي اهتم بدراسة هذا الموضوع من خلال مقال له تم نشره في مجلة قراءات، إذ رصد لنا فيه تجليات المركز والهامش من خلال روايته "رأس المحنة".

ولعل من النماذج الرواية التي تناولت قضايا الهامش والمركز ما كتبه الروائية الجزائرية ياسمينة صالح وعرضته لنا على مختلف مستوياته الثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية، وخاصة روايتها التي تتحدث فيها عن ثنائية الهامش والمركز، فهي من بين المواضيع التي شغلت فكرها وكذلك موضوع شخصية الهامش والمركز التي صورتها لنا من خلال روايتها الموسومة تحت عنوان "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"، فكشفت في مجملها عن بعض المواضيع والقيمات المسكوت عنها، كما حاولت من خلاله فضح ممارسات السّلطة الجائرة وتعدّياتها، وسلّطت فيه الضوء خاصة على الفئة المهمشة والمغيبية ومنحتها فضاء واسعاً للتعبير عن آلامها وأحزانها وآناتها الصامتة جراء السياسات المتعسفة التي سعت دائماً لتثبيت المركز وعزل الهامش.

واخترنا رواية ياسمينة صالح لدراسة موضوع بحثنا ورأيناها الأنسب لعرضه وبيان أهميته رغم قلة المقاربات الثقافية التي تحدثت عنه ورغم المحاولات التي أظهرها بعض الباحثين والدارسين للتأسيس له كموضوع جديد.

تكمن أهمية موضوع بحثنا في:

- التأسيس النظري لمفهوم ثنائية المركز والهامش في المجالات المختلفة والكشف عن الدور الذي يمكن أن تلعبه الشخصيات المهمشة في المجتمع عندما تسعى للتحويل إلى مركز.
- القدرة على قراءة جل الأعمال الروائية التي تشغل مثل هذه القضايا المصيرية والدعوة إلى مقاربتها ثقافياً وفق ثنائية "هامش-مركز".

- تسليط الضوء على القضايا المحضورة كالاتفات إلى المعزولين والمهمشين.

وبما أن هذه الدراسة تحمل قدراً بالغاً من الأهمية إلا أنها لا تخلو من أسباب ودوافع أدت بنا إلى اختيار هذا الموضوع، فمنها الأسباب الذاتية والأسباب الموضوعية. فالذاتية تتمثل في:

- انبهازي الشديد بالأعمال الأدبية للكاتبة خاصة الروائية منها، فهي مبدعة متميزة بأسلوبها

الفني الذي تجمع فيه ببراعة بين الواقع والخيال.

- كون الموضوع جديد ومثير للاهتمام والفضول ويستدعي منا لفت النظر في قضاياها التي غالبا ما تدرج في إطار المسكوت عنه لسبب من الأسباب قد يكون ثقافي، سياسي، ديني أو غيرها.

أما الموضوعية فتتمثل في:

- إظهار الكاتبة بإبداع كبير لمظاهر التهميش ووصفها لنا شكلا ومضمونا.  
- بروز ثنائية المركز والهامش في الرواية بوضوح تام، والحديث عنها على حد سواء.  
كما أن الحديث عن مثل هذه المواضيع ومقاربتها قليل جدا لإغفال بعض الدارسين التطرق إليها لأنها مواضيع تدخل في إطار المحذور والمغيب.

ومن خلال هذه الأسباب والدوافع التي ذكرناها آنفا، ارتأينا أن نتقصى بالبحث والدراسة في موضوع بحثنا عن ثنائية الهامش والمركز بناء على طرح الإشكالية التالية: فماذا نقصد بثنائية الهامش والمركز؟ ومن هي الشخصيات التي مثلت دور الهامش؟ ومن هي الشخصيات التي لعبت دور المركز؟ وكيف انتقلت الشخصية المهمشة إلى شخصية مركزية داخل الرواية؟

وقبل الشروع في الإجابة عن الإشكالية، لا بد لنا أن نذكر الخطوات التي اتبعناها للمضي قدما بموضوع البحث ومحاولة الإجابة عن كل التساؤلات المطروحة فيه، ولهذا عملنا على تتبع خطة لإنجازه، وحاولنا من خلالها المزج بين الجانب النظري والتطبيقي فكانت كالاتي:

مقدّمة، تعرضنا في ثناياها لمصطلح الهامش والمركز، وعرفنا فيها بموضوع البحث وبيّنا أهميته وجدّته، كما أشرنا من خلالها أيضا إلى اهتمام الدراسات الثقافية بهذا الموضوع وكيف كان اختيار هذه الرواية كجنس أدبيّ خاص للتعبير عنها.

ونوّهنا فيها أيضا إلى حضور الرواية العربية واهتمامها الكبير لدراسة مثل هذه القضايا

الشائكة.

أما المدخل، فتضمن المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الهامش والمركز.  
وقد ارتأينا تقسيم البحث إلى فصلين، فالفصل الأول تناول مسرد شخصيات القصة كثنائية،

وتعرضنا فيه إلى دراسة الشخصيات المركزية والشخصيات الهامشية، أما الفصل الثاني تناولنا فيه الشخصية من الهامش إلى المركز، وكان ذلك وفق مرحلتين؛ فالأولى تتناول شخصية "خضر" في الهامش، أما الثانية تتناول شخصية "خضر" في المركز.

وأنتهت البحث بخاتمة تضمنت خلاصة الدراسة وأبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال ما جاء في الرواية.

أما عن المنهج الذي اتبعته في البحث فتمثّل في بعض طروحات الدراسات الثقافية التي تهتم بدراسة مواضيع الأنا والآخر والمركز والهامش وغيرها من الموضوعات والقيمات.

واختارنا هذا المنهج في دراستنا لأنه يسمح لنا باستقصاء كل ما يثيره مصطلح الهامش والمركز من جدل وأسئلة كثيرة وإشكاليات عديدة وكل ما يخفيه من قضايا مضمرة.

وفيما يخص أبرز المراجع التي وظّفناها في دراستنا فتنمّثل في مجموعة مجلات ومواقع إلكترونية ومن أهمها نذكر: مجلة قراءات التي تشمل مجموعة من الدراسات، ويتم نشرها على شكل مقالات، فاخترنا مقالات الكاتب والدكتور عبد الرحمن تيرماسن نظرا لاهتمامه الكبير لدراسة قضايا الهامش والمركز.

ولعل من أهم الصعوبات التي اعترضتنا أثناء إنجاز هذا البحث قلة المعلومات والكتب والدراسات التي تناولت موضوع الهامش والمركز، لأنه موضوع جديد ودخيل على مجال الدراسات الثقافية.

وفي الختام، لا يسعنا إلا أن نتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة التي ساندتنا بتوجيهاتها لإتمام هذا العمل بما قدّمته لنا من نصائح قيّمة.

كما لا يفوتنا في الأخير أن نتقدّم بالشكر إلى لجنة المناقشة على تكريمهم لقراءة هذه الرسالة وإبدائهم للملاحظات المعنّبة والقيّمة.

# مدخل

## ثنائية المركز والهامش (المفهوم والمصطلح)

1- تعريف المركز:

أ- لغة.

ب- اصطلاحا.

2- تعريف الهامش:

أ - لغة.

ب- اصطلاحا.

**1- تعريف المركز:****أ- لغة:**

جاء في لسان العرب مادة : « رَـكَزَ رَكْزًا » ركز المركز، غرزك شيئاً منتصباً كالرمح، ونحوه وَتَرَكِيْزُهُ رَكْزًا فِي مَرْكَزِهِ وَقَدْ رَكَزَهُ بِرَكْزِهِ وَبُرْكَزُهُ رَكْزًا، وَرَكَزَهُ غَرَزَهُ فِي الْأَرْضِ [...] وَمَرْكَزُ الرَّجْلِ مَوْضِعُهُ [...] ومركز الدائرة وسطها».<sup>1</sup>

ونقول أن مركز الرجل هو موقعه لأن الموقع يخالف الموضع، فكل المواضع لا تعتبر بالضرورة مواقع في حين يمكن للمواقع أن تكون مواضع في نفس الوقت.

فالاختلاف بينهما يكمن فقط في الاستراتيجية لأن المواقع تتبع استراتيجية معينة سواء في الحرب أو في السلم، وفي التسيير أو في التدبير، والأمر كذلك سيان في السياسة والاقتصاد والإدارة.

وورد في قاموس المحيط :مركز الرمح يركزه ويراكزه غرزه في الأرض.....، والمركز : وسط الدائرة وموضع الرجل ومحلّه حيث أمر الجند أن يلزموه والمركز الرجل العالم العاقل السخي الكريم والركيزة: دفين أهل الجاهلية وقطع الفضة والذهب من المعادن».<sup>2</sup>

ومن خلال ما سبق ذكره يتجلى لنا القصد من مصطلح المركز وهو الثبات والاستقرار في الأرض، أي كل ما هو ثابت ومستقر في باطن الأرض، وتدل على ما هو ثمين ومادي كالفضة والذهب، أو ما هو معنوي مثل صفتي العقل والكرم.

**ب - اصطلاحاً:**

قدم عدد كبير من الباحثين تعريفات مختلفة لمصطلح المركز من أهمها:

<sup>1</sup> - ابن منظور أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم: سان العرب، مجلد6، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص214.

<sup>2</sup> - الفيروزبادي الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1999، ص.283.

1-اجتماعيا : عرفه ميشال مان على «أنه تعبير يستخدمه علماء الاجتماع، بمفهوم اجتماعي

وجغرافي للدلالة على العلاقات القائمة بين قلب القوة والثقافة لمجتمع ما ومناطقه المحيطة».<sup>1</sup>

ويبدو لنا المفهوم الاجتماعي والقديم جليا من: خلال التقسيم الطبقي لفئات المجتمع حيث تختلف طبقة الأسياد عن العبيد وطبقة الأغنياء عن الفقراء وتتمخض من خلالها عادات مختلفة وخاصة باللباس والأكل والشرب وغيرها من العادات ولا تستطيع الطبقة الدنيا ممارسة عادات الأسياد نظرا لتمييزها الطبقي واختلاف وضعها الاجتماعي والاقتصادي، ولكن على الرغم من ذلك نجد التشابه في بعض الحالات وخاصة في المجتمعات الإسلامية حيث تتقارب العادات والتقاليد بحكم الدين الواحد.

وتلك العادات الآنف ذكرها تصبح حكرا على طبقة الأسياد وعلى طبقة الهامش خلق عادات خاصة بها تتناسب وطريقة عيشها وتتلاءم مع أوضاعها الاقتصادية.

2- اقتصاديا: استخدم " رؤول بريبيش " RAOUL PREBISCH "مصطلح المركز

كمفهوم في الاقتصاد ويعني به: «التقدم التقني والفني وإنتاج الخيرات التي تسوق وتصدر».<sup>2</sup>

ويقصد التقدم في وسائل الإنتاج من الآلات وأجهزة والتنوع الذي عرفه الإنتاج الصناعي في الدول المتقدمة.

ويؤكد بريبيش قائلا: « أن الاقتصاد العالمي الحر ينقسم إلى دول المركز الدول الصناعية

البالغة التقدم في أوروبا الغربية المتحدة، ويعتبر التقدم التقني الذي يسمح بتزايد معدل الإنتاجية».<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد الرحمن تيرماسين، الباح دليلة: «المركز والهامش مفهومه، أنواعه جذوره»، مقال منشور في مجلة قراءات العدد العاشر، جامعة بسكرة، 2012، ص.299

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص.299

\*- رؤول بريبيش : RAOUL PREBISCH " أول سكرتير عام لمؤتمر التجارة والتنمية التابعة للأمم المتحدة وطرح نحو سياسة جديدة للتجارة والتنمية، سنة 1964 هذا التقسيم الاقتصادي لدول العالم

<sup>3</sup> - ينظر: ميشال مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز فضلوح، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص.99

وهذا التقسيم الاقتصادي هو تقسيم إداري قديم فرض في القرن التاسع عشر نظرا للتقدم الصناعي الذي شهدته تلك الحقبة، وفرضته دول الاستعمار أو كما سميت دول المركز التي كانت تفرض سيطرتها على كل شيء نظرا لتحكمها في أدوات الإنتاج ووسائله.

### 3- سياسيا: يعرف "ابن خلدون" المركز السياسي بالمكان الذي تتواجد فيه السلطة

فيقول: «الدولة في مركزها أشد مما يكون في الطرف والنطاق وإذا انتهت إلى النطاق الذي هو الغاية عجزت واقتصرت عما ورائها. شأن الأشعة والأنوار إذا انبعثت من المراكز والدوائر المنعكسة على سطح الماء من النقر عليه وإذا غلب مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنطاق بل تضمحل لوقتها فإن المركز كالقلب النابض التي تنبعث منه الروح فإذا غلب وملك انهزمت جميع الأطراف»<sup>1</sup>

يرى ابن خلدون أن المركز هو القلب النابض للدولة فإذا انهزم المركز وغلب على أمره فلا ينفع الملك بقاء الأطراف، أما إذا لحق الضرر بالأطراف فالملك سيستمر لا محالة إلى أن يأذن الله بانهزامه واضمحلاله وهذا يعني بأن الدولة تحافظ على بقائها وقوتها إذا تمكن المركز من الصمود والحفاظ على قوته في التسيير وفي تدبير الأمور.

وخير مثال يوضح لنا ما سبق ذكره: «مدائن مركز الدولة الفارسية فما إن استولى عليها المسلمون حتى سقطت دولة الفرس بأكملها، ولأن الأطراف هامش فانهارها لا يضر المركز، لذا سقوط الشام لم يضر الدولة الرومانية المترامية الأطراف»<sup>2</sup>.

وما يمكن أن نستنتج من خلال هذا المثال هو أن صمود الدولة وبقائها مرهون بوجود مركز قوي ومسيطر وقادر على التحكم في زمام الأمور حتى وإن كانت الأطراف فيها هامشا.

وخلاصة القول إن العلاقة بين المركز والأطراف في الدولة الواحدة علاقة تكامل، أي

تشنت يطال المركز سيؤدي إلى انهيار الأطراف.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان ابن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون: العلامة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007 م ص173، 174.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن تيرماسين، الباح دليلة: «المركز والهامش مفهومه»، أنواعه جذوره، ص300

## 2- تعريف الهامش:

## أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «هَمَشَ: الهَمَشَةُ الكلام والحركة، هَمَشَ القوم فهم يَهْمِشُونَ وَيَهْمِشُونَ وَتَهَامَشُوا، والمرأة هَمَشَ الحديث، تكثر الكلام وتجلب. يقول "ابن الأعرابي": «الهَمَشُ والهَمَشُ كثرة الكلام والخطل في غير صواب وأنشد: وهَمِشُوا بكلم غير حسن»<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا التعريف يتجلى لنا مفهوم الهامش على أنه الكلام الكثير غير المجدي الذي يؤدي بنا إلى اللحن والخطأ.

أما في قاموس المحيط نجد تعريف هذه الكلمة بهذا المعنى «:الهامش حاشية الكتاب مولد»<sup>2</sup>. ويحيل بهذا المعنى إلى الكلام الخارج عن المتن في الصفحة أي الكلام الذي نجده على حافة الكتاب.

فالهامش: «حاشية الكتاب وهامش صفحة إضافة التعليق على المتن يقال عن المرء عاش على الهامش بمعنى عاش منفردا أي غير مندمج في المجتمع أو لا يريد الاندماج فيه هذا بإرادته وإذا كان بغير إرادته فهو مهمش من قبل غيره أو ممن له السلطنة عليه»<sup>3</sup>. ومن خلال هذا التعريف يمكن أن نميز بين نوعين من الهامش:

1- هامش اختار العيش منعزلا عن غيره، فهو لا يرغب الاندماج في المجتمع كونه لا يمتلك القدرة على تغيير أوضاعه وظروفه وظروف من يحيطون به.

<sup>1</sup>- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، مجلد 15 ص 92 .

<sup>2</sup>- الفيروزبادي: القاموس المحيط، ج 2، ص 450.

<sup>3</sup>- صورية جيجخ، عبد الرحمن تيرماسين: «إشكالية المركز والهامش في الأدب»، مقال منشور في مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، مجلة العدد العاشر 2014، ص 31

2- هامش فرضت عليه العزلة وغُيب عن المجتمع من طرف غيره، أو ممن يملك زمام الحكم والسيطرة عليه لأنه هامش يرفض الظلم والاستبداد ويسعى جاهدا لتغيير الأوضاع ويثور على ذلك بكل ما أوتي من قوة وبأقل إمكانيات ممكنة لديه.

### ب - اصطلاحا:

انتشرت فكرة التهميش في الآونة الأخيرة انتشارا واسعا لتشمل بذلك جميع المجالات منها المجالات الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، والثقافية.

### 1 - اجتماعيا:

يشير محمد "عاطف غيث" إلى تاريخ المنطقة الهامشية قائلا: « إقليم يقع على هامش منطقة ثقافية معينة تلتقي فيه ثقافتان (أ) أو أكثر، وتحل فيه السمات الثقافية للثقافات المجاورة».<sup>1</sup>

من خلال هذه المقولة يظهر لنا تأثير الجماعة المهمشة بسمات ومميزات المركز وانبهارها به وعلى أساس تلك السمات والمميزات يتم تهميشها فتتخلى هذه الجماعة بموجب ذلك عن عاداتها وتقاليدها وتنصهر بعادات وتقاليد المركز لا لشيء سوى لطمعها في نيل مكان مرموق أو منزلة رفيعة في مساحة المركز.

وبمجرد تخلي تلك الجماعة عن مميزاتها حتى تجد نفسها قد تحولت إلى ظل ملازم لذلك النور المتوهج المركز ويستحيل عند ذلك عودتها إلى ما كانت عليه قبلا.

فهذه الجماعة لن تتمكن من تحقيق هدفها في الوصول إلى مصدر ذلك ضوء المنير المسمى بالمركز حتى وإن حاولت بشتى الطرق والوسائل.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن تيرماسين، الباح دليلية، «المركز والهامش مفهومه»، أنواعه جذوره، ص303

2- سياسيا: يقول جون ويليام لايبير: « إذا لم يكن الفرد الذي يمثل المركز مخلصا لمركزه فسوف ينتقد من قبل الآخرين ويكون انتماؤه للجماعة موضع تساؤل، وقد يعزل ولكن الرادع الوحيد يبقى في عزله معنويا وفي التهديد بقطع الصلة التي تشده للجماعة»<sup>1</sup>.

ونفهم من هذا القول بأن الفرد الذي توكل إليه مهام خدمة المركز إذا أضحي غير مخلص في خدمته فسوف يكون محل انتقاد، كما أن انتماءه الاجتماعي يصبح موضع تساؤل وشك من قبل الآخرين، وقد يقضي ذلك بعزله عن الجماعة وتغيبه عنها وخاصة إذا كان ذلك الفرد الذي يمثل المركز وينوب عنه من الفئة الاجتماعية الهشة ذات الإمكانيات المحدودة فيصل الأمر إلى عزله المعنوي وحتى قطع الصلة التي تربطه بالجماعة.

فالسُّلطة «...هي التي تقوم على سن القوانين وحفظها وتطبيقها ومعاقبة من يخالفها، وهي التي تعمل على تغييرها وتطويرها كلما دعت الحاجة»<sup>2</sup>.

فكل خروج عن تطبيق القوانين يعني عصيانا وتمردا أو يعتبر انحرافا عن أوامر السُّلطة ومخالفة لها، وجزاء كل من يخالف أوامر السُّلطة هو العقاب لا محالة.

ومن ناحية أخرى يظهر لنا تأثير الرأي العام على السُّلطة السياسية في سلطة فعلية، فيتعين على الرئيس أن يأخذ بعين الاعتبار موقف مؤيديه وعماله، ومواطنيه، عند إصدار أحكامه وعلى... «الأمير قبل كل شيء، أن يحترز من أن يبغض أو يحقر، وعليه ان يتحاشى كل ما من شأنه أن يجعله بغيفا محتقرا»<sup>3</sup>.

ويظهر لنا من خلال هذه المقولة أن البغض والاحتقار يولدان الانقلاب والعصيان والتمرد والحركات الثورية التي تختلف في حد ذاتها، حيث أنها تتخذ أشكالا متعددة وأساليب

<sup>1</sup>- ينظر : جون ويليام لايبير، السُّلطة السياسية، ترجمة إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1974، ص9.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص49.

<sup>3</sup>- ميكافيلي: الأمير، ترجمة محمد بن البار، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 1998، ص88.

مختلفة اختلافا شاسعا، فمنها من يتخذ شكل الأحزاب السياسية، ومنها ما يتمثل على شكل مؤتمرات بالإضافة إلى الجمعيات السرية. وهناك طريقتان منتهجتان لتشتيت المركز: السياسي: «طريقة تقليدية وتتمثل في الاستعمار المباشر باستعمال الأسلحة ومختلف وسائل الدمار والحرب، وطريقة حديثة وتتمثل فيما يسمى الاستعمار غير المباشر/ أو ما يعرف ب: عقلنة الصراع الثوري».<sup>1</sup>

يكون الانقلاب هو الوسيلة المنتهجة للثورة على النظام القائم وتغييره ويتم ذلك باستخدام مخططات محكمة صرفوا في تمحيصها ودراستها وقتا طويلا. ويعتمد في مثل هذه المخططات على أساليب متتالية أسلوب إقامة الجبهات الشعبية كمنطلق أساسي ولا يلجأ فيها إلى حرب الشوارع إلا بعد نهاية عملية معقدة لتفكيك القوى المعارضة وعلى إثر ذلك يتم إدخال نواة معارضة إلى قلب الإدارات والجيش، والبوليس للاستيلاء عليها وتفكيكها.

وفي الجبهات الشعبية يتم تنظيم مظاهرات بشكل قانوني وشرعي لتتخذ مصداقيتها التي أقيمت عليها، ولا يحدث أي نزاع من نوع عنيف إلا إذا استدعت الأوضاع ذلك ومن ثم تضطر قوة النظام والجيش للتدخل إلى الأوساط الشعبية لتغطي النزاع وتشن بذلك سلسلة من الاعتقالات في حق هؤلاء الأبرياء باعتبارهم المسؤولين عن تلك الأوضاع وتصدر في حقهم اتهامات باطلة لمحاولة نشر الشغب وبث الرعب في الوطن

في الأخير نخلص إلى القول بأن مصطلح الهامش والمركز مصطلح يثير الكثير من الغموض والجدل، فهو يشمل عدة مجالات منها الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية والثقافية. ولعل قيمته تكمن في القدرة على حصر هذه المجالات وتكييف عناصرها، فكلما عمدنا إلى دراسة مجال من هذه المجالات على حدة نجد أنه يتداخل بشكل أو بآخر مع المجالات الأخرى مما يجعل الفصل فيما بينها صعبا في بعض الأحيان.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن تيرماسين، الباح دليلة: «المركز والهامش مفهومه، أنواعه جذوره»، ص 306 - 305

# الفصل الأول:

مسرد الشخصيات / ثنائية المركز والهامش

أولاً: شخصيات المركز

ثانياً: شخصيات الهامش

لكي نفهم هذه الرواية التي بين أيدينا ونحلل مجريات أحداثها لابد لنا أن نلم بشخصياتها المركزية وشخصياتها الهامشية ونعرف بها، فلا يمكن ان نكتفي بالحدث وحدة بل ينبغي وجود الشخصيات التي تدور الرواية معها أو حولها. ومن أهم الشخصيات التي برزت في رواية الكاتبة ياسمينة صالح، وأسندت إليها الدور الأساسي نجد:

### أولاً- شخصيات المركز:

#### أ-شخصيات المؤسسة الإدارية والعسكرية: (السلطوية)

##### 1- الكولونيل "فيصل":

فيصل شخص ذا شارب كث ووجه نحيف وقاسي، له شقيق يدعى سي فاروق وهما من كبار المتنفذين في الدولة، يستغلان نفوذهما في إدارة تجارة خاصة من خلال إنشاء مستودعات للبضائع خاصة بهما يستغلونها لحسابهما وحساب من يشتغل معهما. وكان للكولونيل فيصل منافسا قويا يدعى السي عنتر ويعتبره غريما له ويحمل له ضغينة كبيرة لأن عنتر رفض أن يزوجه أخته، قبل أن يزوجه لشخص أقل منه مكانة نكايه فيه ولم يكن هناك أي داعي للرفض لأنهما كان يتبادلان نفس المنافع والمصالح قبلا، وتلك الحادثة جعلت العلاقة بين الكولونيل والسي عنتر تقتر حد الضغينة.

##### 2- الضابط كريم:

ضابط في العشرينات من العمر شاب وسيم حيوي، وهيئته توحى بأنه لم يعيش الجوع ولم يعرف معنى الإهانة في حياته صحيح أنه شخص ماكر نوعا ما ولكنه ليين في التعامل مع زملائه في العمل وهو سعيد بعمله.

ينظر: ياسمينة صالح، في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا، تغريبة لخضر زرياب، دار فضاءات، عمان، الطبعة 1،

2017، ص ص 104-105.

ويأمر من مسؤوليه أشرف " كريم " على عملية التخطيط للأمكنة التي سيتم فيها زرع الميكروفونات وتحددت في مكتب المدير وكذلك في الصالة الرياضية وهدفه من هذا الفعل هو التجسس على كل ما يحدث في الجامعة وكل ما يدور في أوساطها من أوضاع وما يتداول من حوارات من طرف الفئة المثقفة والمواقف التي تحملها إزاء السلطة الحاكمة للبلاد وكذا معرفة جل الانتقادات التي تصدر منهم لتتخذ هذه الأخيرة الإجراءات اللازمة وتقف بالمرصاد لكل من يتجرأ على تحديها، حتى وإن تعلق الأمر بمسؤول أو ضابط يعمل لحسابها، مثلما حدث لشقيق كريم الذي تم سجنه بتهمة الاختلاس ولم يتمكن من فعل شيء لإنقاذه من السجن وحتى رؤساءه لم يحركوا ساكناً إزاء ذلك ليس لأنهم يطبقون القانون بل يرون في عقاب شقيق كريم عقاباً لكريم وتأديباً له باعتباره ضابط كي لا تسوّل له نفسه في تجاوز مسؤولية والخروج عن طوعهم وأوامرهم ولم يتوقع كريم أن يحدث له مثل هذا الأمر لأنه كان يعتقد بأن عمله في جهاز أمني سيحفظه إن وقع في الزلل ويخلصه منه ونسي بأنه مجرد موظف يشغل تحت أوامر المسؤولين الكبار في السلطة ويمكنهم الاستغناء عن خدماته أو التخلص منه بمجرد انتهاء مهامه عندهم كما يمكن أن يلقي حتفه ويدفع حياته في سبيل تحقيقهم لمصالحهم الشخصية.

### 3- الضابط جعفر:

جعفر من ضمن مجموعة الضباط الذين توكل إليهم العمليات القذرة والمهمات المشبوهة من قتل وتخريب وحرق ويصنف مجرماً من الدرجة الأولى بعد كل جريمة ينفذها لأنه يرى في ذلك انتصاراً لطمعه ليعتلي المناصب. وزد إلى ذلك أنه ضابط شاب عصبي كثير التأفف ومغرور لا يفوت الفرصة للسخرية من لخصر وأمثاله من المخبرين الذين يشتغلون تحت أوامره، ولا يستنكف من وصفهم بالرعاع الفاشلين.

ويضع لخضر دائما نصب عينيه ويظل يحرجه كلما سنحت له الفرصة لفعل ذلك وخاصة عندما يحضر له التقارير التي يكتبها ويسلمها ليقراها ويبلغه بأن رؤساءه غير راضين عنه وينتقدونه بشدة وأنه هو شخصيا غير راضي عن أداءه.

ومن الملاحظ بأن غيره جعفر من لخضر هي من تتحدث، فهو يكن له حقد كبيرا وبغضا شديدا لأن لخضر يحظى بثقة كبيرة عند المسؤولين الكبار الذين يشغل لحسابهم ويزداد غضب جعفر وكرهه لمنافسه، خاصة عندما ينجح في المهمة التالية التي أوكلها إليه المسؤولون ويتمكن بموجبها أن يترقى إلى مرتبة ضابط.

ربما هذا ما يدفع بجعفر لاحقا ليرد اعتباره و يستعيد زعامته التي فقدتها لأشهر وكان ذلك من خلال تنفيذ عملية أسندت للخضر وتولى أدائها لمكره وحيلته لأنه يعرف تماما بأن هذا الأخير لا يقدر على تنفيذ مثل تلك العمليات بحكم الخبرة والتجربة واستغل الفرصة لينجح في القيام بها ليبين تفوقه على غريمه وينال بذلك الترقية التي كان يطمح إليها في منصبه.

ساهم جعفر في التخطيط لعدة عمليات إجرامية أهمها: قتل الصحفي الباهي، ثم قتل الصحفية وشقيقها ومحاولة قتل شخصية نافذة ومهمة وكانت آخر عملية يخطط لها ولم ينجح في إتمامها لأنه لقي حتفه وهو يحاول تنفيذها، وأضحى جثة هامدة.

لعل موت جعفر أجمل فرصة بالنسبة للخضر لأنه لم يعد موجودا ولن يذله ويصغره بعد اليوم، وبحس أنه تخلص من العائق الذي كان يقف دون تقدمه إلى الأمام.

## ب- شخصيات المؤسسة الإدارية: (إدارة الجامعة)

## 1- السي طيب: (مدير الجامعة)

"السي طيب" أو مدير الجامعة رجل في الستينات من العمر نحيف وهادي الملامح لا يهمله في عمله سوى الانضباط وحسن السلوك والثقة. وكمدبر للجامعة يقيم الرجال على أساس ما يمنحه من شعور إما بالراحة وإما بالتوجس أو اللامبالاة وهذه الميزة اكتسبها عن تجربة وغالبا ما يكون على حق في إصدار حكمه على الناس، وهو الذي لم يخنه حدسه حتى من قبل وحتى إن حدث مع بعض الأشخاص، فلا يولي لذلك أدنى اهتمام. ولما وجد نفسه مضطرا إلى إحضار سكرتيرة مساعد بسبب ضغط العمل على سكرتيه الأول شعر بالقلق وتردد في أول الأمر في نشر الإعلان لإحضار سكرتير ثاني لخوفه الشديد من أن يدخل مكتبه أشخاص غير جديرين بالثقة ولا يستحقون أن يدخلوا عتبة مكتبه بأحذيتهم الوسخة.

وكل من يدخل مكتب المدير أو "السي الطيب" عليه أن يحظى بالثقة المتبادلة، الثقة التي ينبغي أن تكون بين الموظف ومديره في العمل، ولعل هذا ما كان يوضحه للخضر عندما جاء إليه إلى المكتب ليشغل منصب السكرتير المساعد. وكان يحدثه عن المهام الموكلة إليه في العمل والأسس التي ينبغي أن يقف عليها أثناء ممارستها والقيم التي يجب أن تتوفر لدى الموظف ومديره والتي تتمثل في الثقة المتبادلة بين الطرفين وأن يؤدي كل واحد الأمانة بضمير حي وعلى أحسن وجه لأن ما يهيم الطيب في الأخير هو "كسب الرجال".

فهو لا يستقبل فيه إلا من يراهم أهلا للجلوس على الكرسي المقابل له وشرب القهوة على شرف حوار لطيف وعلى الأغلب يحضر إليه بعض الطلبة ليتناقش معهم في أشياء مهمة ويمتص غضبهم من جهة وليحيطهم علم بما يجري خارج الجامعة لينهضوا ويثوروا من أجل المناداة بالتغيير من جهة أخرى.

ومن الملاحظ أن الثقة التي كان يبثها الطيب في نفوس الطلبة هي من دفعتهم لحبه وحب الإيمان الذي كان يبثه فيهم ويدعوهم من خلالها إلى السعي نحو التغيير لمستقبل أفضل.

لكن المدير لا يقصد بمفهوم التغيير ما يتم على أساس العلم وإنما يقصد التغيير الذي ينم عن العقل ويعتمد على منطق الحوار. وهذا ما لم يستوعبه بعض الطلبة الذين يرون بأن اللجوء إلى القوة والعنف والتهديد هو السبيل الوحيد لتسوية مشاكلهم وأوضاعهم في الجامعة وأنه هو الحل الأنسب الذي يحقق لهم الانتصار لمطالبهم الشرعية. ولعل المدير أخطأ في الثقة التي منحها لهذه النخبة من الطلبة لأنهم أساؤوا استغلالها لم يخطر على باله بأنهم يطمحون إلى ما هو أبعد مما هو ممكن ولم يتفطن لذلك إلا عندما أعلنوا عن الإضراب.

وحين خرجت الأمور عن السيطرة وجد المدير نفسه خائفا ومرعوبا لأن لا أحد يصغي إلى نداءاته للحوار والتفاوض حتى وهو يصرخ قائلا لهم بأن كل شيء سيتم حله بالهدوء وأن العنف لن يغير من الأوضاع شيئا بل سيزيد من تعقيدها لكن لا فائدة وهذا ما اضطره في الأخير إلى استدعاء قوات الأمن لفض النزاع وشن سلسلة من الاعتقالات في حق بعض الطلبة الذين تسببوا في إحداث الشغب. وها هو يجد نفسه من ضمن المعتقلين ويتم اقتياده إلى مركز الأمن في المدينة ليجروا معه التحقيقات حول ما جرى في الجامعة.

وعلى ما يبدو لم يتحمل المدير الصدمة وكان وقعها قاسيا بالنسبة إليه فلم يقضي ليلته داخل السجن وإنما نقلوه إلى المستشفى إثر تعرضه لأزمة قلبية حادة أفضت إلى تدهور وضعه الصحي. أثناء "تواجد السي" الطيب بالمستشفى ظل "خضر" يزوره ليطمئن على حالته إلى أن استقر وضعه وخلال هذه الفترة زاد تعارفهما عن كثب حتى أصبحت العلاقة وطيدة وحميمة وطلب منه أن يرفع الكلفة ويناديه فقط "بعمي الطيب" وبعد أن تعافى "السي الطيب" وعاد إلى منزله ظل لخضر يتردد إلى بيته باستمرار يسأل عنه بعد ما تعود عليه

ينظر: الرواية، ص ص 128-131.

هذا الأخير وألف حضوره ويتبادلان الحديث عن مختلف الأمور وذلك الارتباط الوثيق في العلاقة والشعور بالدفء العائلي هو ما جعل لخضر فيما بعد يطلب يد نجاة ابنة «الطيب» للزواج.

## 2- جمال: (السكرتير):

جمال شخص ميسور الحال ليس فقيرا ولا غنيا وليس سعيدا ولا تعيسا، يعيش حياته وفق التربية التي تلقاها بأن يكون رجلا فحسب، توفيت أمه قبل عشر سنوات وتركت مسؤولية كبيرة على عاتق والده الذي تمسك بالأمل ليتحمل الأعباء وحده فتمكن من تزويج بنتيه لضمان حياتهما، أما عن جمال فلم يشكل أي قلق بالنسبة لأبيه لم يحمل همه باعتباره ذكر ليس إهمالا له، بل ليغرس فيه بذرة الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية كرجل قادر على مواجهة مشاغل الحياة وصعابها، وربما هذا ما سيؤدي به لبحث عن وظيفة تجعله إنسانا محترما.

فشل جمال في دراسته الثانوية، ثم راح يشتغل سكرتيرا في مصنع التبغ لكن لم يمكث فيه طويلا تمكن من إيجاد وظيفة أخرى حيث توظف في الجامعة كسكرتير ورغم الوظيفة التي يشغلها إلا أنه يشعر بأنه ينقصه شيء مهم في حياته ألا وهي الزوجة التي ستملأ حياته بهجة وسرورا وتجعله ينسى تعب يومه عندما يعود إلى البيت. وها هو يلتقي بنصفه الثاني الذي يشبهه، هي فتاة بسيطة وحيدة مثله يلتقي بها صدفة، يتبادل معها حديثا عاديا فتعجبه ثم ينظمان لقاءات أخرى، ولم يكن حديثهما مباشرة عن الحب والمستقبل لكن يتبادلان الحديث عن حياة الآخرين ويخططان لحياتهما من خلالها وعلى بساطة الحوار الذي يجري بينهما تزداد علاقتهما ويزداد القرب بينهما، كشخصين يتيمين يريان أن الحب ما هو إلا تحصيل حاصل، ويمكن أن يصير قويا ومختلفا فيما بعد.

ويبدأ جمال التخطيط لحياته الزوجية المستقبلية لكن العمل الملقى على عاتقه في الجامعة يزداد يوماً بعد يوم، لذا يرى المدير ضرورة أن يحضر سكرتيراً مساعداً وأخبره بأنه ينوي أن ينشر إعلاناً بالجريدة، في أول الأمر يشعر جمال بالخوف حيال ما يريد المدير أن يفعله لكن فيما بعد يحس بالارتياح خاصة عندما يأتي مساعد السكرتير الجديد المتمثل في لخضر، فيبدأ بتكليفه بعدة مهام فيطلب منه أن يعيد كتابة الرسائل نيابة عنه، كما يكلفه بالقيام بدور ساعي البريد بين الإدارة وبعض الأساتذة الموجهين، فيستغله ليتسنى له البقاء في مكتبه ليتحدث مع حبيبته على الهاتف لأطول فترة ممكنة ولا ينكر جمال بأن وجود لخضر معه قد خلصه من الأعباء الثقيلة التي أقيت على كتفيه، وجد في استغلال لخضر الحرية الكاملة ليتمكن من الحديث على الهاتف ومتسعا من الوقت ليخرج إلى مواعيده بكل أريحية.

## ثانياً - شخصيات الهامش:

### أ- شخصيات الهامش (الذكية)

#### لخضر:

كان لخضر لا يزال طفلاً في العاشرة من عمره عندما توفيت أمه بعد أسبوع فقط بسبب نقص الرعاية.

يتذكر يوم عاد من المدرسة كعادته جائعاً يرتعش من البرد ووجد بيتهم محاطاً بالنسوة، وأمسكته حينها جارتهم من يده وجرته إلى بيتها لتخبره بأن والدته توفيت فقالت له بصوت حزين وهادئ: «يا لخضر يا ابني أمك المريضة ارتاحت الآن»<sup>1</sup>.

وبعد ساعات من الانتظار فهم لخضر أن أمه انتقلت إلى رحمة الله ليريحها من مرضها وتعبها وحينها فقط أحس أنه أصبح يتيماً كأشد ما يكون اليتيم جرحاً، فلم يستطع والده أن يغطي غيابها بل لم يكن له حتى الوقت ولا الرغبة لذلك.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 19.

إذ فكر كما يفكر أي رجل في مثل وضعه إلى ضرورة الزواج بامرأة ثانية لتغطي مكان الأولى التي توفيت ولم يأخذ رأي ابنه حين سافر إلى إحدى القرى البعيدة ليأتي بعد أسبوع فقط من دفن زوجته الأولى ومعه امرأة جديدة وبعلم أمام ابنه قائلاً : «هذه أمك الجديد»<sup>1</sup>. ظل لخضر ملتزماً للصمت حتى وهو يرى أمه الجديدة تسيء معاملة أخته الرضيعة، وتكثر الشكوى منها لوالده الذي كان يعيد لها دائماً نفس العبارة قائلاً: « احتمالها ولك الأجر عند الله»<sup>2</sup>.

وبشأن القدر أن تمرض الأخت الصغيرة للخضر وهي الأخت الوحيدة التي يتقاسم معها نفس الألم وترتبط معه بذلك الشعور العميق. لقد أصيبت بالحمى وهي لا تزال في نعومة أظفارها فلم تغلق بعد الخامسة من العمر.

ظلت تصارع الحمى طوال أسبوع إلى أن استسلمت لها وتوقفت أنفاسها فأدرك لخضر حينها أنها النهاية وأن أخته انتقلت إلى جوار ربها ولحقت بأمها، فكر في نفسه قائلاً « أن أخته ذهبت إلى الله لأن الله يأخذ من يحبهم، وأنها لن تجوع ولن تبرد ولن تمرض بعد الآن»<sup>3</sup>.

شعر لخضر بالإحباط والاستسلام وأحس أنه لم يبقى أي شيء يعنيه في الحياة إذ يعتبر نفسه فاشلاً حتى قبل أن يسمع والده وهو يتلفظ بها في وجهه ساخطاً عليه وقائلاً له: « أنت ابن فاشل تظل تتسكع في الشوارع طوال الوقت وتنتظر فقط من يصرف عليك»<sup>4</sup>. ومع زيادة المسؤوليات على عاتقه يقرر الوالد أن يشغل ابنه لخضر معه في الميناء بعد أن زاد إلحاح زوجته عليه وتحريضها له ضد ابنه وتهديده إما باشتغاله ومساعدتهم على تحمل المسؤوليات أو الرحيل عن البيت، ولأن لخضر في نظرها يعتبر عائلة على البيت لم

<sup>1</sup>- الرواية، ص20

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص20

<sup>3</sup>- نفسه، ص 21.

<sup>4</sup>- نفسه، ص21.

يكن هذا الحوار جديدا ولا مفاجئا للخضر لكن الجديد هو أن يعمل في الميناء حمالا كأبيه، وهو الذي لم تستهويه فكرة العمل أصلا ولم تكن تخطر على باله أساسا، رغم أنه أصبح شابا قادرا على ذلك. كما أن موافقة لخضر على العمل في الميناء لم تكن سوى لتنفيذ فكرة واحدة كانت تدور في رأسه ألا وهي الهروب من البلد.

وهذه الفكرة سمعها من شباب الحي الذين سيطرت فكره الهرب على عقولهم وتمكنت منهم كما تمكن الحكام على مقدرات الوطن وإحكام قبضتهم عليها.

لم يولي لخضر الاهتمام لكلام أبيه عن مسألة العمل أو تحمل الأعباء ومساعدته على تحمل المسؤوليات المختلفة، بل كان اهتمامه منصبا على كيفية الهرب من البلد لينقذ نفسه من الدوامة التي يدور فيها. والعمل بالنسبة للخضر ما هو إلا طوق للنجاة من معاناته وآلامه ووسيلة للفرار من ضياعه.

وها هو ذا الشاب الفقير والمعدم الذي كان يفكر بالهجرة يحالفه الحظ ليعمل في الميناء بالواسطة ليتحول بعدها من فقير مهمش إلى صاحب قرار يحتذى به بعد أن احترف القتل ومارس العمليات الإرهابية بتوجيه من سادته الذين عملوا على توظيفه في هذا المجال وصنعوا منه مجرما وقاتلا من الدرجة الأولى فاستطاع بذلك أن يعتلي أكبر المناصب، لكن دفع ثمن ذلك غاليا لأن تلك الرتب العالية لم تكن إلا على حساب أرواح الأبرياء.

كما أنها جردته من إنسانيته وأفقدته أعز ما يمكن للإنسان أن يمتلكه وهي أخلاقه ومبادئه، فأضحى بذلك إنسانا بلا رحمة أعماه المال وطموح السّلطة.

## ب- شخصيات الهامش: (المناضلة)

### 1- السي منصور (رئيس العمال)

السي منصور من الشخصيات التي تتمتع بالوعي الفكري والسياسي مثلما تظهره لنا

الكاتبة في الرواية.

"سي منصور" هكذا كان يناديه البعض عندما يسمحون لأنفسهم بمناداته كذلك ويرفعون الكلفة بموجب الزمالة والصدقة التي تربطهم به لأنه لا يتعامل معهم على أنه رئيس العمال، ويشاركهم أحيانا حتى في وجبتهم البسيطة كما يشاركونهم أيضا في حواراتهم العادية.

كان "سي منصور" من أسرة ثورية، استشهد والده إبان الثورة وترك له لقب ابن الشهيد وربما هذا ما جعله قريبا من الناس وأكثر إحساسا بهم وبمعاناتهم وغلبهم. وهذا الأمر خلق هوة كبيرة بينه وبين مديره في العمل لأن هذا الأخير شخص متعنت يتعامل بمبدأ عامل العمال بقسوة لتضمن ولاءهم وهو المنطق الذي يرفضه "سي منصور" لأنه يقترب كثيرا من الفكر الإقطاعي القديم.

ولم يعرف منصور الاستقرار في مكان عمل واحد وإنما اشتغل في أكثر من ميناء في الغرب والشرق وكان يواجه المديرين المتمرتين، ويقف بالمرصاد لقوانينهم البيروقراطية ومعاملاتهم التعسفية ويصر على الدفاع عن حقوق العمال وعن كرامتهم، وهو الذي يقول بأن: « لا أحد يستطيع ان يسحب من احد حريته ان عرف الدفاع عنها حريه الرجال في كرامتهم وهي غالية جدا»<sup>1</sup>

ومن أجل هذا المبدأ تحمس منصور لفكرة تأسيس نقابة مستقلة تحمي العمال وتحفظ لهم كرامتهم وتضمن لهم إنسانيتهم ومعاشهم كاملا في حال تعرضهم للمرض أو لحوادث خطيرة.

ورغم أن السي منصور يتم نقله من مكان عمل إلى آخر بسبب ثورته على أوضاع العمال وتعاطفه مع ظروفهم إلا أنه يأبى أن يرضخ ويستسلم لمن هو أعلى منه مكانة ويظل دائما متمسكا بمبادئه لأنه يعي بأن قضيته لا تتعلق بتغيير الأمكنة بل تكمن في ضرورة

<sup>1</sup> - الرواية، ص 80.

التغيير في فكر الرجال ولأن هذا التغيير فقط من يمكنهم من تحريك عزيمة وهم من سيبث فيهم نزعة الرفض لكل أنواع الاستعباد.

لكن الفكر المتميز الذي شغل عقل "السي منصور" والوعي السياسي الكبير الذي يتمتع به يفضي به إلى الموت ويتم قتله من طرف الأشرار الذين مد لهم يوما يد العون وكان السبب في تغيير حالهم إلى الأفضل ويعود له الفضل لما هم عليه في حياتهم. وها هو يقابل بالبحود والخيانة ويدفع حياته ككبش فداء ثنا لطيبته ووفائه وإخلاصه لوطنه ولأبناء وطنه.

## 2- الباهي: (الصحفي)

بدأ "الباهي" حياته مدرسا في المدارس الحكومية وكان بمثابة موسوعة علمية نظرا لثقافته العالية التي يحظى بها والوعي السياسي الكبير الذي يتمتع به. فكان يسعى لغرس الروح القومية لدى طلابه ويحثهم على ضرورة النهوض والتغيير في الأوضاع السائدة والثورة عليها من خلال المحاضرات التي كان يلقيها عليهم.

ولهذا طردوه من المؤسسات الرسمية ومنعته الوزارة من مزاولة التدريس لأن في نظر هذه الأخيرة أن "الباهي" يخوض في الكلام عن الأمور السياسية مثل الحديث عن العدالة الاجتماعية، فهو الذي كان يقول لطلبته: «أن الحرية هي التي تصنع التحرير لأن الجوع والجهل يمكنهما إدارة حرب ما لكنهما لا يبنيان»<sup>1</sup>.

ورغم منعه من العمل إلا أنه تمكن من أن يشتغل في المجال الصحفي ويكتب مقالات يتولى توزيعها بنفسه.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 179.

الباهي حاضر بنظراته التي تثير القلق باستمرار وكانت رؤيته للحياة مليئة بالحيوية والأمل، وهو دائما متفائل بغد أفضل لوطنه، ولكن لم يكتب لهذا الصحفي المتألق أن يعمر طويلا فقد تمت تصفيته بسبب المواقف التي كان يحملها إزاء السلطة الجائرة في البلد.

وبسبب المقالات التي كان يحررها وما تحمله من مواضيع ومعلومات خطيرة تم قتله بطريقه بشعة لأنه حاول أن يكشف عن ثنايا المستور وكان وقع الخبر على صديقه الطيب بمثابة صدمة تفوق كل التوقعات.

### ت- شخصيات الهامش الفقيرة: (البائسة)

#### 1- السي عثمان:

"السي عثمان: أب فقير معدم يعمل في الميناء لإعالة أسرته، كان قبل ذلك يعيش في قرية أكلها الجفاف والفقر.

اضطرته لقمة العيش أن يأتي إلى العاصمة ليجت من عمل ويفر من المعاناة واليأس والفقر المدقع الذي سلبه متعة الحياة.

فأن يعثر على عمل بعد أشهر من وصوله أمر يحسده عليه كل من جاء معه في نفس القطار لذا يرى أن العمل قيمة يجب الدفاع عنها مهما كان نوعها.

"ولسي عثمان "أولاد من الزوجة الأولى لكنها توفيت إثر مرضها أثناء وضعها لمولودتها وتركت له صبيا في العاشرة من عمره وطفلة رضيعة مما اضطره إلى الزواج بامرأة ثانية لتأخذ مكان الأولى وتعتني بأولاده الصغار وأنجبت له فيما بعد ثلاثة أبناء وزادت بذلك مسؤولياته وكثرت أعباؤه ومشاكله، ولم يكن "السي عثمان "والدا سيئا بل ظروف الحياة هي من جعلت منه أبا حازما وصارما نظرا لحياة الفقر واليأس والحرمان التي كان يتخبط فيها لوحد.

فلم يكن لديه الوقت ليفتح أحضانه لأحد لأنه يعود من عمله في الميناء منهكا فليس له إلا أن يرتمي على فرشته الرثة وبنام نوما ممزوجا بأنين التعب اليومي.  
ولما كبر ابنه البكر "لخضر" يقرر "سي عثمان" أن يجد له عملا في الميناء ليساعده على تحمل المسؤولية ويخفف عنه ذلك الحمل الثقيل.

## 2- الشيخ إبراهيم:

"الشيخ إبراهيم" أو "العم إبراهيم" كما كان يلقبه كل من يعمل معه في الميناء وبالخصوص رئيس العمال تقديرا لسنه، فهو رجل في السبعين من العمر زاهد وحكيم لا يهتم بالأمر التي تكون خارج السياق وخارج دائرة اهتمامه لا يزال يعمل رغم أنه عليل ويرى في عمله العلاج الوحيد ليفضل على قيد الحياة ولكي لا يظل وحيدا خاصة وأن زوجته متوفية منذ أربعة أعوام وليس لديه ابن يعتمد عليه في تدبير شؤونه.

كما لا يريد أن يعرف أحد عن مرضه بأي حال من الأحوال لأنه يعتبر ذلك نهاية لحياته ولهذا كان يقول: «عملي ليس مجرد راتب بل هو حياتي التي قضيتها في هذا المكان، كل قطعه في هذا المكان تعرفني جيدا، تحفظ صورتي الأولى أيام جئت إلى هنا غضا وحالما.»<sup>1</sup>

فهذا المبدأ الذي عاش على أساسه "إبراهيم" إلى أن سقط في الميناء طريحا ومنهرا على الأرض ونقل إلى المستشفى لكن لا جدوى من ذلك فلم يتمكن الأطباء من إنقاذه لأن المرض استولى عليه وعلى إثر ذلك المرض مات الشيخ إبراهيم وانتقل إلى رحمة الله.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 34.

## ث - شخصيات الهامش المختلفة: (العائلات)

## 1- السي نوح

سي نوح "رجل طيب، يعمل بقالا في المنطقة التي يسكن فيها وهو دائم الابتسامة أثناء استقبال زبائنه الذين يشترون من دكانته، ودائما ما يردد لهم تلك العبارة اللطيفة التي يقولها لهم وهي أن الدكان تحت أمرهم، ويخاطب بها الموظفين القادرين على دفع ثمن ما يشترونه كما يقولها أيضا للزبائن الذين يدفعون له بالتقسيط، ويصبر عليهم لأنهم زبائنه الأوفياء ولأنه يحس أن ما يقوم به يجعله قريبا من الله وبذلك يستجيب له دعواه بأن يرزقه بولد يحمل عبء المسؤولية عنه.

و"نوح" يخاف أن يموت دون أن يتحقق ما يتمنى وبذلك يطمع بعض الرجال في الزواج من بناته ليرثوا الدكان من بعده، لذا يتمنى كأبي أن تتزوج بناته والثلاثة وهو على قيد الحياة وليهنأ باله ويطمئن قلبه.

فابنته الكبرى تدعى "زهوة" ليست جميلة بالمعنى الذي يمكن أن تحمله كلمة الجمال وتبدو كولد له شعر طويل و صدر بارز وبغض النظر عن ذلك فهي سيدة بيت ممتازة، تركت الدراسة وتنتظر أن يأتي نصيبها وتتزوج، بينما ابنته الوسطى "سلمى" فتاة غير متحمسة لفكرة الزواج لأنها ترغب أن تدرس وتدخل الجامعة لكنها فشلت في دراستها، أما البنت الصغرى "نجاه" تدرس في الثانوية وهي فتاة جميلة ورقيقة ومميزة في نظر والدها، ليست شاطرة في أعمال البيت مثل أختيها لكن إقبال العرسان على طلب يدها كان أكثر منهما

والسي نوح يرفض جميع من يأتي لخطبة "نجاه" لأنه يرفض فكرة أن تتزوج البنت الصغرى قبل الكبرى. لم يكن نوح من النوع الذي يحكم آراءه على أسرته، بل كان يحترم

طريقة الجميع في التفكير ما دام ذلك لا يتعارض مع مبادئه ولا يخالف التقاليد التي يعتبرها جزءا من سمعة الإنسان.

## 2- نجاة الأولى

نجاة الأولى: من الشخصيات الرئيسية في الرواية وهي الابنة الصغرى لـ"السي نوح" البقال، وتدرس في الطور الثانوي.

وكانت نجاة الابنة المدللة والجميلة والرقيقة والأفضل في نظر أبيها على الرغم من أنها أقل شطارة من أختها في أشغال البيت إلا أنها أوفرهما حظا لأن إقبال العرسان على طلب يدها كان أكثر من طلب يدي أختها.

لكن والدها كان يرفض جميع العرسان الذين يتقدمون لخطبتها في نظره وحجته في ذلك أنه يرى "نجاة" ما تزال صغيرة على الزواج وفي حقيقة الأمر لم يكن ذلك المانع الذي يدعوه إلى رفض العرسان بل كان يرفض فكرة أن تتزوج ابنته الصغرى قبل أختها الكبرى. ويحدث وأن تعجب "نجاة" بشاب في الحي الذي تسكن فيه ويدعى "لخضر" ابن "سي عثمان" الحمال، فهم جيران يقطنون في نفس المنطقة وتوهمه بحقيقة المشاعر التي تكنها نحوه، ويهيم هو في حبها حبا شديدا، لكن سرعان ما يتحول ذلك إلى أمر غير متوقع وتشعر بالذعر وتستوعب الورطة التي أوجدت نفسها فيها.

وتعود "نجاة" ذات مرة من المدرسة تتأبط محفظتها الصغيرة وتمشي بخطوات جريئة، وتسبق في مشيتها بكل ثقة بينما كان "لخضر" على يمين الشارع يمشي ليدخل إلى البيت فترمقه بعينيها وتتنظر إليه بابتسامة انخلع لها قلبه.

وتتوال الأيام ويتعود الشبان على بعضهما ويتبادلان النظرات والابتسامات كلما التقيا، إلى أن يتم ترتيب اللقاءات بينهما فترتبط "نجاة" بمواعيد مع "لخضر" ويلتقيان عند خروجها من المدرسة وحال خروجه من العمل، وأثناء سيرهما يتبادلان أطراف الحديث عن مشاكل

الدنيا وهمومها وكان هو من يتكلم أكثر عن بؤسه وشقائه وهي تنصت له بكل تمعن وإحساس.

وفي بعض الأحيان عندما يسرد لها "لخضر" ما يعانیه مع أسرته من ظلم ووجود تشعر حياله بالشفقة وتراود مخيلتها أفكار كثيرة فهي تعرف عنه ما يعرفه كل الناس ولكن لم تتوقع أن يكون بهذا الحجم من الانكسار والضعف والألم وهي تشعر بالندم لأنها شجعتة على الاقتراب منها.

ومع مرور الأيام ينتابها إحساس بأن ما تقوم به أبعد من الجنون وأقرب إلى ورطة وتزداد قناعه من أن فعلتها ستغضب والدها إن اكتشف علاقتها بـ "لخضر".

ولهذا تقرر أن تضع حدا لعلاقتها وعدم الالتقاء به مجددا وقطع العلاقة به نهائيا، وحبّتها في ذلك أنها لا تريد أن تخرج مع شاب لم يحدد موقفه منها، ولم يطلبها بشكل رسمي، والواقع أن "نجاهة" خائفة جدا من ردة فعل والدها إن علم بأمر خروجها مع "لخضر" كما أنها تدرك تماما بأنه لن يقدر على طلب يدها والزواج منها وهو الذي يعي تلك الحياة البائسة التي يحيهاها. وفي مطلق الأحوال هي لا تريد أن تقضي معه حياة كنتلك التي سردها لها، وتمر الأيام ويحدث ما لم يكن في الحسبان، فـ "سي نوح" يصله خبر مصاحبه ابنته "نجاهة" لـ "لخضر" الحمال، إذ أطلعه عليه "سي عثمان" والد "لخضر" وحكى له طبيعة العلاقة التي تربط ابنته بابنه ليتصرف في الأمر. ومن جراء ذلك الأمر تتلقى "نجاهة" ضربات شديدة وعنيفة من أبيها، وعلى إثرها يقرر أن يزوجها لأول من يطرق بابها ويطلبها. ولم يكن لنجاهة خيار الرفض أو القبول لما صدر من أمر والدها لأنها تدرك تماما حجم الخطأ الذي ارتكبه بفعلتها تلك. كما أنها تشعر بالذنب لأنها خانت الثقة التي وضعها فيها وهي التي تعرف جيدا والدها ورأيه في مثل هذه المسائل الحاسمة. وبعد الذي جرى لم يتوانى "سي

نوح "ولو للحظة في الرد على" السي حسن "الذي طلب منه يد ابنته" نجاة "لابنه" علي " ضابط الشرطة.

وفعلا تقررت خطبة" نجاة" بعد أسبوع فقط فأتى الضابط إلى بيتهم ليعلن خطبته رسميا عليها والبسها الخاتم، وتعالق الزغاريد من بيت" سي نوح "وعم الفرح بأفراد العائلة جميعا، ويبدو أن" نجاة" سعيدة جدا بخطوبتها الرسمية ومسرورة بهذا الزواج.

### 3- نجاة الثانية

نجاة الثانية: ابنة" سي الطيب "مدير الجامعة فتاة بسيطة وحزينة وتبدو نظرات الحزن دائما في عينيها ولا يظهر أثر الابتسامة على وجهها قط أضف إلى ذلك أن ردود أفعالها عصبية وحادة وكأنها الوسيلة التي تتخذها للدفاع عن نفسها من سخريات وشفقة الآخرين عليها فهي مريضة تعاني من إعاقة في رجلها اليسرى منذ صغرها رفض والدها أن يعالجها خارج الوطن لأنه لم يشأ أن يقبل الإعانة بالواسطة ،لذا فضل أن تتلقى العلاج داخل الوطن، لكنها لم تشفى لأنها تعاني من صعوبة في المشي.

أثناء مرض والدها وتواجهه في المستشفى تعرفت على لخضر الذي كان يشغل منصب مساعد سكرتير في الجامعة ويعمل في مكتب أبيها في الأول لم تكن تستلطفه وكانت تستغرب إصراره على الحضور الدائم إلى المستشفى لكن فيما بعد أصبحت تجالسه أثناء انتظار موعد الزيارات ويتبادلان الحديث والابتسامة وحتى أنها تسمح له أن يدخل إلى غرفة والدها بدلا عنها. ومع كثرة زيارته وتردده إلى بيت الطيب بعد خروجه من المشفى أقدم على طلب يد" نجاة" للزواج.

وقبلت "نجاة" أن ترتبط ب"لخضر" رغم أنها كانت تشعر بأن زواجه منها ليس لأنه يحبها بقلبه كما يتيم أي حبيب بحبيبته وإنما كان يبحث عن الاستقرار معها ويفعل ذلك عن

ينظر: الرواية، ص ص 152، 161، 174.

واجب الزواج فقط. وهذا ما أجابها عندما بادرتة نجاة بالسؤال عن سبب ارتباطه بها وحينها تلقت الإجابة بخيبة كبيرة يملأها الحزن وبدا لها الحوار الذي كان يدور بينهما مليئا بالثغرات والأسئلة الكثيرة التي لا تعرف لها جوابا. وعلى الرغم من الحقيقة المرة التي تقلق قلب نجاة إلا أنها توافق على الاقتران بـ "لخضر"، ثم تحمل منه وتصر على الاحتفاظ بجنينها رغم الخطر الذي يشكله على حياتها وتقرر أن تمنح له الحياة ويحين وقت الولادة وتضع نجاة مولودها وتشاء الأقدار أن تفارق الحياة بعد عملية وضع عسيرة.

#### 4- حياة

"- حياة: هي فتاة من عامة الشعب والدها ضابط شرطة اغتيل على أيدي إرهابيين وأمها ربة بيت تدعى "نجاة" وهي الحبيبة السابقة للجنرال "لخضر" والد خطيبها "حسين". حياة فتاة جميلة وخجولة تشبه أمها كثيرا وهي مليئة بالبهجة والصراحة، حتى الجنرال لخضر لاحظ ذلك الشبه الكبير بين الأم وابنتها عندما رأى صورتها لأول مرة "فحياة" تشبه والدتها في عينيها وابتسامتها ومشيتها وغرورها.

#### 5- حسين زرياب

حسين زرياب: ابن الجنرال "لخضر" ولد وأمّه تفارق الحياة وتمنحه هو الحياة، لكن كتب عليه أن يعيش ويحيا يتيما ووالده على قيد الحياة، فتركه لجديه من أمه ليتوليا تربيته، نشأ حسين بين أحضان جديه وتلقى الرعاية والتربية إلى أن كبر وأصبح شابا مسؤولا عن نفسه. ها هو يصبح ضابطا شجاعا يثق في نفسه ويحب عمله الذي يؤديه إزاء بلده وهو يؤمن بمبدأ الدفاع عن الوطن والإخلاص له ومستعد أن يموت عن حب لأجله.

يعمل حسين ضابط تحت إمرة والده الجنرال الذي يكتشف أنه ابنه الذي تخلى عنه لسنين عدة من خلال تصفحه لملف وقعت عليه عيناه بمحض الصدفة، فيقرر حينها أن

يجري بعض التحريات عنه ويتوصل إلى أن ابنه حسين شاب طموح وشجاع وضابط وسيم لديه خطيبة تدعى "حياة" وهي ابنة "نجاه" حبيبته السابقة.

ومن خلال دراستنا لهذه الشخصيات وتعريفنا بها، نخلص إلى القول بأن كل شخصية كان لها تأثير كبير في سير أحداث الرواية، وساهمت بشكل فعال ومتفاعل معها في تطوير مواقفها، وخاصة شخصية "الخضر" التي تمكنت من لعب الأدوار التي أسندت إليها داخل الرواية بطريقة مميزة، وتجلى لنا ذلك بوضوح من خلال انتقالها من شخصية مهمشة إلى شخصية مركزية، لكن كان ذلك عبر مرورها بمختلف المراحل وتمثيلها لمختلف المواقف.

وهذا ما سنحاول أن نتعرف عليه في الفصل الثاني ونعرض له بالتفصيل من خلال عرض أهم مسارات التحوّل التي طرأت على هذه الشخصية ونتتبع أيضا الخطوات التي سارت عليها أثناء تدرجها في تولي المناصب، وكيف كانت مواقفها ونمط تفكيرها عندما كانت شخصية مهمشة وكيف أصبحت عندما تحوّلت إلى مركز.

# الفصل الثاني

شخصية لخضر من الهامش إلى المركز

أولاً: لخضر في الهامش

ثانياً: لخضر في المركز

إن التحول الذي ارتبط بشخصية لخضر ليس محض خيال، أو مجرد صدفة مرّت بذاكرته ورحلت، وإنما جاء نتيجة لصراعات داخلية ومعاناة كبيرة عاشها وذاق مرارتها، واستنتج من خلالها بأن سبب جوع الشعب هو تخمة الأغنياء الذين كانوا يتمتعون على حساب الفقراء وبيعتون أبنائهم إلى الخارج ليغيروا الجوّ، بينما يتخبط أبناء الشعب الفقراء ويعانون من الجوع والبؤس ويلفهم الحرمان على الرغم من أن الكثيرون منهم يحوزون على شهادات جامعية عليا ومتخصصة، لذا قرر لخضر أن يعلي من طموحه وأصبح يفكر في نيل ما هو أبعد من المال والحب واللباس والخبز، يطمح إلى الوصول إلى السّلطة التي ستجلب له كل هذه الأمور.

ولكي يتحقق ما كان لخضر يصبو إليه مرّت على حياته مراحل مختلفة ومعقدة، جعلته ينتقل فيما بعد من مرحلة إلى أخرى بشكل سريع وبقاكب التغيرات التي تطرأ عليه بشكل ملحوظ.

وهذا ما عرضته الكاتبة من خلال روايتها حين ذكرت لنا أهم المحطات التي ساهمت في تغيير مسار حياة لخضر وكيف تمكن من أن يتحول من شخص مهمش إلى شخصية مركزية ذات تفكير مغاير تماما لما كانت عليه قبلا. كما ذكرت لنا أيضا كيف كانت تلك التحولات سببا في تدرجه لاعتلاء مختلف المناصب.

وعمدت ياسمينة صالح إلى عرض التغيرات التي طرأت على شخصية لخضر في مرحلتين: فالأولى تتحدث عن شخصية لخضر حين كان في الهامش، أما الثانية فتتحدث عن شخصية لخضر في المركز وهي كالتالي:

## أولاً: لخضر في الهامش / الرؤية والدلالة

## 1- لخضر المهمش داخل أسرته:

يعيش "لخضر" منبوذاً ومحتقراً بين أفراد أسرته، فبعد وفاة والدته لم يحظى قط بالعطف والحنان ولا بالمعاملة التي يستحقها كفرد من أفراد تلك الأسرة، فهو يعامل بعنف وقسوة شديدة خاصة أمام زوجة أبيه التي تراه عبئاً على الأسرة وعالة عليها، فهي لا تفتأ تحرض والده عليه، فيلجأ إلى ضربه ضرباً مبرحاً ليفرغ ما في جوفه من غضب واستياء، فاكتشف "لخضر" أن جسمه الصغير قد تحول إلى ساحة معارك بين أبيه وزوجته، ولم يكن يعرف كيف يعترض ولا كيف يقاوم، أدرك حينها أن الضرب الذي يتلقاه هو الطريقة الوحيدة التي تخفف من غضب والده من جهة وترضي زوجته من جهة أخرى وتجعلها تهدأ بعدها لأيام.

ومع مرور السنين تزداد المسؤوليات على والد "لخضر" بعد أن أنجبت زوجته ثلاثة أبناء ويضطر "لخضر" للعمل لمساعدة أبيه على تحمل الأعباء والمصاريف، لكن الأوضاع تزداد سوءاً بالنسبة للخضر الذي يجد نفسه أمام ظلم وجحود كبيرين وسط أفراد الأسرة، فتظهر المعاملة القاسية من طرف زوجة أبيه التي تعمل جاهدة لتوسيع الهوة بينه وبين إخوته، فأبعدتهم عنه فلا هم يعتبرونه الأخ الأكبر لهم ولا هو يراهم على أساس أنهم إخوته الصغار، أما عن والده فيعمل دائماً على الاستيلاء على راتبه ليغطي مصاريف البيت التي كثرت عليه، فيتحمل مسؤولية الإنفاق على أبناءه الآخرين بينما لا يلتفت أبداً إلى احتياجات لخضر لأنه يعتبره كبيراً على ذلك ويمكنه أن يصبر ويتحمل العناء، وفي الواقع هو ليس كذلك لأنه يحتاج أيضاً لمن يراعى احتياجاته ويهتم بها.

ووسط كل هذا التهميش الذي يطاله والإقصاء المستمر الذي يشهده داخل أسرته، يعلن لخضر التمرد على أبيه ويقرر بكامل إرادته وعزمه على أن يغادر البيت إلى غير رجعة،

فهو يريد أن يتحرر من كل قيد يمنعه من أن يؤسس لحياته ويرى أنه يحق أن يحيا حياته كما يرغبها هو وليس كما يفرضها عليه الآخرون.

## 2- لخضر حارس في مستودع المتنفذين:

بعد أن اشتغل في الميناء، انتقل لخضر إلى مكان آخر ليعمل حارسا ليليا في مستودع للبضائع يمتلكه أحد الكبار والمتنفذون في الدولة، ويعود الفضل في هذا الانتقال الذي عرفه لخضر إلى رئيس العمال في الميناء "سي منصور" الذي ساعده ليحظى بفرصة عمل في مكان آخر، فبدأ عمله في المستودع وكانت مهمته داخل المخزن هي حراسة البضاعة المتواجدة فيه، يبقى جالسا طول الليل يتعقب الصناديق الحديدية وفي الصباح يغادر بصمت ويتوجه إلى إحدى الحدائق العامة حيث يفترش جريدة في زاوية هادئة ويطلق العنان لنوم عميق بعد يوم متعب وطويل.

وسرعان ما تعود لخضر على تلك الحياة التي حولته إلى متشرد ينام في الحديقة صباحا ويداوم في الحراسة ليلا.

لكن فيما بعد يفكر في ضرورة أن يستأجر بيتا لنفسه، كما يفكر أيضا في شراء ما يلزمه من الغذاء واللباس، أصبح يتطلع إلى بناء مستقبله كشخص واثق وحالم في الغد. وأخيرا يعود الأمل إلى حياته من جديد ويقرر أن يمارس حريته التي لم يتمكن من ممارستها قبلا، وها هو يقبض راتبه للمرة الأولى فيرتاد بذلك إلى عدة أماكن ليشتري كل ما يريده وليأكل ما يشتهي مما لذ وطاب ليشعر بقيمته إزاء ذاته، يدفع النقود خصيصا لأجل أن يسمع كلمة "سيدي" من أصحاب المحلات، وأدرك حينها أن من يمتلك النقود يمكنه أن يصنع السيادة لنفسه كيفما يشاء ومن يمتلك السلطة يصير سيذا على الآخرين ويستحوذ على كل شيء.

ولما أخذت الشكوك تساوره وتحاصر تفكيره بدأ لخضر يفكر في ماهية البضاعة التي يحرسها وأخذ يطرح عدة تساؤلات في نفسه وقد تملكه الرعب وسيطر عليه. ويبدو أنه يريد أن يواجه الأفكار التي تسيطر على عقله بعد أن قرر أن يطرد شبخ الخوف الذي يلفه والقلق الذي يسكن بداخله، يريد أن يزرع مكانه قوة خارقة تحقق له كل ما يتمناه، فيعقد العزم على التحدي ويخوض غمار المغامرة ويقوم بفتح أحد الصناديق في المخزن، وإذا به يتفاجأ بالأسلحة والمسدسات التي توجد بداخلها وعادت به الذاكرة إلى ما سمعه ذات يوم في الميناء حين كان يشتغل هناك على أن تلك الأسلحة يتم تهريبها إلى مناطق الصراع والحروب، كما تستخدم أيضا داخل البلد، وإيقن حينها بأنه في مأزق كبير لأنه خاض في مغامرة قد تؤدي به إلى عواقب وخيمة إن انكشف أمره وربما سيفضي به إلى الموت، فهي مخاطرة لا يمكن أن تضمن نتائجها ولا يحمد عقباها.

والفضول الذي تملك لخضر يدفعه إلى رغبة جانحة لتجريب أحد المسدسات، وبالفعل أخذ واحدا وبدأ يلعب به ويصوبه في كل الجهات بطريقة طفولية وعفوية، وبمجرد أن سمع خطا أقدام تتجه إلى المخزن ارتبك وضغط على الزناد بدون وعي منه، فخرجت الرصاصات، فدخل الحراس لتقصي الوضع بالداخل فأطلق النار عليهم وأودى بحياتهم، ثم أطلق الرصاص على نفسه كي لا ينكشف أمره، فيتحول بذلك من حارس في مستودع إلى بطل فلم سينمائي من تأليف مخيلته، البطل الخارق الذي ينجو بأعجوبة من العقاب والموت. وهذا ما سيثير مخاوف المتنفذين بعدها ويجعلهم يفتحون تحقيقا سريعا مع لخضر وهو على سرير المستشفى فور سماعهم بقدرته على الكلام، وهم يحققون معه عن حادثة المخزن راح لخضر يسرد لهم كيف وقعت الجريمة ويشرح لهم بالتفصيل كيف وقعت الأحداث وأودت بحياة زملاءه الحراس وأخذ يحكي لهم تلك الوقائع بحبكة مدروسة وبدقة متناهية ويجيب على أسئلتهم بكل ثقة ليعيد عن نفسه التهم والشبهات قدر الإمكان، فورط العديد من الحراس بناء على القصص التي

سمعها عنهم وأهمها تلك الأحقاد والضغائن الموجودة بين "سي عنتر" و"الكولونيل فيصل"، حيث رفض عنتر أن يزوج أخته لفيصل وفضل تزويجها لشخص أقل منه مكانة، وقد كان الحظ مع لخضر لأن الحراس اعترفوا تحت التعذيب باشتراكهم في المؤامرة التي حاكها سي عنتر.

وعندما شفي لخضر وعاد إلى العمل وجد أن "سي فاروق" شقيق الكولونيل فيصل قد قرر أن ينقله إلى مخزن آخر حيث يوظفه جاسوسا ومهمته هي التجسس على الحراس ونقل كل شاردة وواردة تحدث في المستودع ليلا، كأن يحكي لهم مثلا عن كل الحوارات التي يسمعا منهم أو عنهم وعن الوقت الذي يقضونه في الدردشة فيما بينهم، وأن يذكر لهم أيضا أسماء الأشخاص الذين يدور حولهم الحديث. وكان هدف سي فاروق من توظيف لخضر جاسوسا هو رغبته الشديدة في معرفته من جديد واكتشاف حقيقة شخصيته والوقوف على تركيبه النفسي، ولهذا أصدر أمرا بمراقبته وتقصي أخباره، ولكم خاب ظنه وأمله عندما وردته تقارير تؤكد له أن لخضر شاب بلا طموح وانطوائي ولا يصادق أحدا.

### 3- شخصية لخضر/الرؤية والموقف:

في بداية القصة صورت لنا الكاتبة "لخضر" الشخص البائس، الفقير الذي يحلم بتغيير أحواله وظروفه المعيشية، فهو يسعى أن يكون له المال الوفير من أجل أن يفرض احترام الناس له.

ويظهر لنا هذا المسعى من خلال ما تقوله الكاتبة في الرواية، فهي تقول على لسان لخضر: «يفكر في شراء حذاء وبنطلون وقميص...»<sup>1</sup>

ومن خلال هذه المقولة يتبين لنا ما يطمح إليه لخضر من أمنيات صغيرة وساذجة، يحلم بها كل شخص بائس وبسيط مثله وهو شراء أبسط الأشياء التي لا تعد إلا أن تكون مجرد حقوق مفروضة ألا وهو اللباس الذي يستره ويرحمه من نظرة وازدراء الناس.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 53

وبعد أن توفر المال عند لخضر لاحت ملامح الأمل في عينيه من جديد وبدأ يستعيد حلم الحياة، فأصبح يفكر في بناء مستقبله كشخص سوي، واثق من نفسه ومن الغد الذي ينتظره. كما أصبح يفكر في الحصول على المال والسيادة في نفس الوقت، وهذا ما تظهره لنا الكاتبة في الرواية حين تقول: « يدفع النقود لأجل أن يسمع كلمة سيدي... أحس أنه ملك نفسه، غير آبه بشيء أو بأحد...»<sup>1</sup>.

وهذا يعني أن لخضر أدرك أخيراً بأن من يمتلك المال يصنع السيادة لنفسه وبنال الاحترام من قبل الجميع ويشعر بقيمة كبيرة إزاء ذاته.

ورغم لذة السيادة التي حظي بها لمجرد توفر المال لديه إلا أنه لا يزال شخصاً ضعيفاً وتافهاً في نظر أولئك الأسياد الذين يشتغل تحت إمرتهم ويمتثل لكل أوامره ويلبي كل طلباتهم وينفذ كل تعليماتهم، وأضحى بهذا مجرد كومبارس يؤدي دوراً ثانوياً في مسرحية هزلية ثم ينال أجراً مقابل ذلك، لكن لا يلتفت له أحد بعدها.

وخير مثال يوضح لنا ذلك في الرواية ما تقوله الكاتبة: « يتذكر أنه في النهاية يشتغل حارساً لدى الأسياد، مجرد كلب ليلي يحرس بضاعتهم ليناموا مرتاحي البال...»<sup>2</sup> ونفهم من هذا القول أن لخضر لا يزال نكرة في نظر نفسه، وفي نظر غيره لا يزال ذلك المنبوذ البائس والفقير رغم تحسن أحواله وظروفه المعيشية ورغم تغير مظهره وهندامه. ولكن يبقى التحدي والإصرار مع استخدام الذكاء والدهاء السبيل الوحيد الذي سيوصل لخضر فيما بعد إلى تحقيق مبتغاه والنهج الذي سيسير عليه من أجل الحصول على السلطة.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 87

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 92.

## ثانيا: لخضر في المركز/ الرؤية والدلالة

## 1- لخضر الجاسوس والمخبر:

استطاع لخضر أن يثبت للمسؤولين الكبار بأنه جدير بالمهام التي توكل إليه، وبين لهم ذلك بفضل دقة التقارير التي ينقلها لهم، ما يجعلهم يرتاحون لعمله ويقررون فيما بعد بتحويله إلى موظف من نوع خاص، أو بعبارة أخرى توظيفه كـ "مخبر"، لأن في ذلك استمرار لمصالحهم الشخصية وضمان لحياتهم.

وعلى هذا الأساس يتم اختياره من طرف أسياده ليؤدي مهمة خطيرة فيما بعد، ألا وهي التجسس على الحرم الجامعي بما فيه من إطارات وعمال وطلاب، فعمل الكبار على تزوير شهادة خبرة للخضر تفيد بأنه عمل خمس سنوات كمساعد سكرتير في معهد العلوم الوطنية، رغم أن مستواه الدراسي لا يتعدى المرحلة المتوسطة.

وكان الهدف من إدخاله إلى الجامعة هو القيام بعملية التجسس على المسؤولين والطلاب والزوار والتركيز بشكل خاص على مدير الجامعة وتحتيته من منصبه رغم أنه ابن شهيد.

وهذه الوظيفة التي حظي بها لخضر، ستوفر له فيما بعد حياتا كريمة وطعاما شهيا، وسترفع من مستواه وشأنه شيئا فشيئا، وستجعله ينال الاحترام من قبل الجميع. وبعد نجاح لخضر في نقل أخبار الجامعة وتميزه في أداء عمله، يطلب منه مسؤولوه التجسس على منزل المدير ومن يستقبلهم من زوار، ويركز على وجه الخصوص على قريبه الباهي، الصحفي الذي يشكل بالنسبة لهم قلقا كبيرا ويمثل لهم مصدر إزعاج.

## 2- لخضر "الضابط" ومدير المركز و"الجنرال"

وأخيرا يبتسم الحظ في وجه لخضر بفضل دقة تقاريره التي يحملها إلى رؤسائه الذين أعجبوا بأداءه، مما يجعلهم يصدرن أمرا بترقيته وتحويله من مخبر صغير إلى رتبة ضابط، وأحس حينها أن حياته قد بدأت تتغير نحو الأفضل.

ويواصل لخضر بأداء المهام التي أوكلت إليه، ويحقق نجاحا باهرا ويتمكن من أن ينال ثقة الكبار، رغم مواصلة مسؤولية المباشرين من معارضة أمر ترقيته أمثال الضابط جعفر الذي يكن له حقدا كبيرا، والضابط كريم الذي يحذره دائما بنبرته الساخرة من الإخلاص الذي يظهره في أداءه لعمله، لأن ذلك قد يكلفه حياته.

وبصرف النظر عن ترقيته، يبقى لخضر تائها يعيش في دوامة لا نهاية لها لأنه يعي تماما أن عليه مصارعة مشاكل الحياة ومواجهة الأخطار مدى حياته.

وفي غضون سنة يتمكن لخضر من أن يرتقي من رتبة ضابط إلى منصب مدير المركز بعد أن نجح في تنفيذ العملية الإجرامية التي فشل جعفر في أداءها، فأصبح بذلك قاتلا محترفا، لا يرفض أي تكليف يسند إليه مهما كان نوعه ولا يهمله الشخص الذي سيقوم بقتله حتى وإن كان أعز الناس إليه، فيوافق بكل برود على تصفية نقابي صاعد ويقوم بذبحه بالسكين، كما يقوم لاحقا باغتيال رئيسه السابق في الميناء سي منصور.

وأخيرا يتحول إلى شخص نافذ، تمكن من صنع ثروته على حساب الدولة، بفضل قوته التي «... صنعها من ضعف الآخرين، وبفعل الظروف التي ساندته على صنع السيادة التي يتمتع بها.»<sup>1</sup> ويتمكن بموجبها أن يعتلي الحكم وينتقل أعلى الرتب والمناصب ويصبح جنرالا، ويتحقق ما كان يصبو إليه من جاه وسلطة، ولكن وهو يرتدي بذلته الرسمية الجديدة والمهابة ينتابه خوف شديد ويحس بالرعب رغم أنه هو من كان يثير الرعب في عيون أولئك الذين ينظرون إليه ويرتعشون في حضوره ويسعون جاهدين وراءه لإرضائه.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 95.

وفي النهاية يصل لخضر إلى السّلطة، أو بتعبير آخر هو الآن السّلطة في حد ذاتها، بعد تاريخ حافل بالخيبات والبؤس والرعب والقتل والخيانة ولا يشعر بأي ندم حيال ما فعله، لأنه يرى بأن هذا ما ينبغي أن يحصل، والبلد بحاجة ماسة إلى أقوياء مثله ليخرج من أزمتها، وليس إلى الضعفاء والعاطفيين، تلك الشعارات الرنانة التي كان يرددها هو الآن، ومن سبقوه إلى السّلطة وكانت دائما تلقى على شرف البسطاء والفقراء.

ويواصل لخضر نفاقه حتى وهو في منصب جنرال، ويتضح لنا ذلك من خلال الكلمة التي ألقاها على الضباط الذين يشتغلون معه، إذ حثهم من خلالها على حب الوطن والتضحية من أجله، وأن لا يمارسوا وظيفتهم من أجل الراتب فحسب، بل من أجل حماية ونصرة البلد من كل الأعداء والظالمين الذين يترصدون من كل الجهات.

وبهذا الخطاب الذي ألقاه يحس أنه أصاب الضباط في الصميم وأثر فيهم بكلماته وأثار إعجابهم بتلك الشعارات الرنانة، المليئة بالنفاق. ومع انتهاء كل اجتماع وحديث أو خطاب، كان لخضر يشعر بإرهاق نفسي شديد خاصة أثناء خلواته مع نفسه، لأنه يعلم في قرارة ذاته أنه يتظاهر بالمبادئ السامية والأخلاق الرفيعة، وفي حقيقة الأمر كل ما يفعله أو يقوله زيف ونفاق كبير.

### 3- شخصية لخضر / الرؤية والموقف:

من أهم الأحداث التي ساهمت في جعل لخضر في مركز قوة، تلك الحادثة التي جرت بينه وبين الشرطي وابن الذوات، لأنها فتحت عينيه على حقائق ووقائع لم يكن ينتبه لها قبلا، ومنذ ذلك اليوم تيقن أن ما ينقصه فعلا أهم من المال ينقصه شيء أبعد من ذلك بكثير، وهي السّلطة والقوة التي تجعله يمتلك كل ما يريد ويسيطر على كل شيء ويتحكم بمصير وحرية الجميع. وهذا ما ذهبت إليه ياسمينة صالح في روايتها حين راحت تفسر لنا بوضوح تام قناعة لخضر بالوصول إلى السّلطة وتفكيره في

ينظر: الرواية، ص 133.

الطريقة التي ستوصله إلى ذلك، لأنها هي من ستحقق له كل ما يرغب فيه ويتمناه، فنقول في هذا الصدد: « لأول مرة يشعر أن ما ينقصه أهم من المال ومن الحب والخبز واللباس...تنقصه السلّطة التي تجعل الجميع يبتسم له، حتى أكثر الناس كرها له واشمئزازا منه!»<sup>1</sup>

وهذا يعني أن لخضر تفتن إلى لعبة السلّطة التي تجعله يمتلك المال والسيادة والقوة ليسيطر على حرية الآخرين ويتحكم في مصيرهم.

ويبدو أن تفكيره على هذا النحو كان صائبا جدا بالنسبة له، لأنه أوصله فعليا إلى تحقيق طموحه فيما بعد، وتجسد لنا ذلك بعد أن أصبح في موقع استراتيجي وتحول إلى شخصية قوية، مجردة من العواطف وخالية من المشاعر، أو بعبارة أخرى أصبح شخصا باردا، هو المركز في حد ذاته، الأمر والنّاهي، الجنرال الذي يحسب له ألف حساب.

ويظهر لنا هذا من خلال ما تقوله الكاتبة: «فالرجال يعملون تحت أوامره...»<sup>2</sup>

كما تضيف في هذا الصدد أيضا قولها الذي تبيّن من خلاله كيفية وصوله إلى المركز الذي يشغله والذي تمكّن بفضل من أن يتذوق طعم السلّطة واستطاع أن يتمتع بها على حساب الأبرياء، فنقول: « استطاع أن يصنع قوّته من ضعف الآخرين ومن الظروف التي ساندته، إلى أن أصبح جنرالاً... هل ينكر أنه أصبح السلّطة نفسها؟»<sup>3</sup>

وبهذه العبارات تظهر لنا شخصية لخضر باعتباره في مركز قوّة، أو بتعبير آخر هو السلّطة في حد ذاتها، فهو من يتحكم في زمام الأمور ويسيطر على الآخرين باستغلال ضعفهم وبانتهاز الفرص والظروف المسخرة له لفعل ذلك، فأضحى مثله ومثل الذين سبقوه

<sup>1</sup> - الرواية، ص 196.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 196.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 200.

إلى السّلطة، لا يختلف عنهم في شيء، فكلهم كوّنوا ثرواتهم ومراكزهم على حساب الدولة، وعلى حساب الضعفاء.

كما تبدو شخصية لخضر كمركز أيضا شخصية يملأها النّفاق، فهو يلبس ألف قناع، لا يجد حرجا ولا صعوبة في خلع قناع ولبس آخر في سبيل تحقيق مصالحه وأهدافه.

لكن رغم المناصب التي حظي بها، ليتحول إلى مركز ورغم المكانة المرموقة التي استطاع أن يشتريها لنفسه أمام المجتمع، إلا أنه يشعر بوحدة رهيبية عندما يكون في خلواته مع ذاته، ويحس بحزن عميق بداخله، يُشعره وكأنه لم يخرج من دائرة التهميش والمعاناة، لا يعرف طعم السكينة ولا يشعر براحة البال ولا ينعم بالسلام النفسي، لأن كل ما وصل إليه من مركز وجاهٍ، لم يكن بشرف ونزاهة بل كان كله بفضل المكر والنّفاق والجريمة، وهذا كله جعله يفقد إنسانيته ومبادئه وأخلاقه، ومع الوقت تحوّل إلى شخص فارغ من الداخل، فاقد للشعور والإحساس، وفي نفس الوقت متعطش له، كما أصبح خاليا من الحس المعنوي والروحي، ويبعد كل البعد عن المفهوم الحقيقي لمعنى الحياة.

وما يمكن أن نخلص إلى قوله في النهاية هو أن لخضر تمكن من لعب دوره في الرواية كشخصية مزدوجة بامتياز، فالشخصية الأولى عاشت على الهامش وشهدت المعاناة والقهر والظلم والذل، لكنها لم تستسلم للظروف.

أما الثانية فشخصية مركزية أو بالأحرى تحولت إلى مركز بفعل الظروف، فاستطاعت أن تفرض ذاتها في المجتمع بفضل السّلطة والقوة، كما تمكنت من بلوغ أهدافها باستخدام المكر والدهاء والحيلة رغم ما كلفها ذلك من ثمن في حياتها.

خاتمة

## خاتمة

من خلال بحثنا وتقصينا لموضوع ثنائية المركز والهامش وموضوع الشخصية المهمشة وطموحها للتحول إلى مركز، نستنتج أن:

● جل التعريفات اللغوية والاصطلاحية التي قدمتها الدراسات الثقافية أو نقلتها لنا عن دراسات لباحثين آخرين عن هذه القضايا تقرب إلى حد ما مفهومها وماهيتها، رغم أن ذلك كان بشكل مقتضب ومبسط.

● لكن يبقى البحث والاستقصاء عن هذه القضايا المتعلقة بموضوع ثنائية الهامش والمركز والشخصية المهمشة والمركزية والشخصية المتحولة إلى مركز متواصلا نظرا لتعدد نظريات وآراء الباحثين والدارسين وتشعبها واختلافهم في كيفية تناولهم لها.

● من خلال دراستنا لرواية ياسمينة صالح وتطرقنا فيها لموضوع ثنائية المركز والهامش وتيمة الشخصية المهمشة وطموحها للمركز نخلص إلى القول بأنها استطاعت تقريب هذه القضية ونجحت إلى حد بعيد في تحليلها وتصويرها لنا من خلال:

○ السير في أحداث الرواية والخطوات التي رسمتها للشخصية البطلة "الخضر".

○ تتبعها الدقيق للتحويلات التي طرأت على حياتها والتي سارت فيها خطوة تلو الأخرى.

○ نقلت الشخصية من شخصية معدمة ومهمشة إلى شخصية ذات مركز عال وهمة.

○ نقلت لنا الكاتبة من خلال هذا العمل الروائي أهم التفاصيل وأدقها حول ما يجري في الدوائر العسكرية والأمنية على وجه الخصوص، وتقصت مواقف

المواطنين لحكم العسكر والسلطة.

- كما تقصت انشغالات المهمشين وثورتهم للحصول على حياة أفضل وأظهرت أيضا مصير هؤلاء المواطنين المعارضين لحكم السلطة وكيف يتم ابتزازهم وجمع المعلومات عنهم والمؤامرات التي تحاك ضدهم من أجل إبعادهم أو التخلص منهم.
- ورسمت لنا أيضا صورة المجتمع القابع تحت حكم العسكر الذين يستحوذون على كافة مقدرات البلد، فيما يتخبط المواطنون في حياة مليئة بالبؤس والمعاناة كما كان حال شخصية لخضر الذي كان فاقدا للطموح ليس عجزا منه، بل رأى بأمر عينيه أنه لا مجال للزحام.
- سلطت الكاتبة الأضواء كذلك على ظواهر اجتماعية عديدة، خصوصا حين أشارت إلى:
  - دور زوجة الأب التي تتصف باللؤم والظلم في مجتمعاتنا وتتسبب بالفتنة بين جميع أفراد الأسرة، وتفنتك خاصة بزوجها.
  - كما عرضت تفاصيل دقيقة عن حياة الفقراء والمهمشين الذين يعجزون عن شراء قلم أو دفتر لأبنائهم في المدرسة أو حبة دواء لمريض في الأسرة، أو عدم التمكن من توفير رضعة حليب لرضيع فيصل الفقر والعواز إلى حرمان الآباء من متعة احتضان أبنائهم لعودتهم من العمل منهكين ومهمومين.
  - وتحدثت أيضا عن البنى التحتية المتهالكة للدول النامية كأن لا يتوفر سرير في المستشفى للحالات الحرجة أو المستعجلة.
  - وقضاء الشباب يومهم متسكعين في الشوارع بسبب البطالة، بينما يتمتع العسكر وأبناؤهم بكافة خيرات البلاد.

- إن الجرأة التي انطلقت منها الكاتبة في نسج خيوط روايتها أكسبتها ثقة بنفسها في اختيار موضوعها ألا وهو الكتابة عن المهمشين والمتنفذين على حد سواء، ويظهر لنا ذلك جليا حين عالجت مشاكل الشباب وإحباطاتهم وتفكيرهم الدائم بالهجرة بسبب الحرمان الذي يلفهم، في حين يعيش أبناء الذوات حياة يملأها الترف ويستوردون كل ما يحتاجونه من الخارج. ومثلت لنا الكاتبة ذلك من خلال شخصية "لخضر" التي شهدت بأم عينها في الميناء كيف يتولى رئيس العمال تخليص البضائع المستوردة للمتنفذين بنفسه، مما يجعله يدرك لاحقا بأن الموظفين لا يعملون عند الدولة، بل يشتغلون لحساب الأغنياء والمسؤولين الكبار.
- في ثنايا الرواية عمدت ياسمينة صالح إلى فتح قضايا مهمة وملفات كبيرة منها:
  - ملف الأمل الذي فتحته كطاقة رجاء للمعدمين كأمثال لخضر الذي حصل على إكرامية من خلال عمل إضافي تمثل في تفريغ شاحنة للعسكر، وأشعرته حينها بالسعادة، وأحس للمرة الأولى أن الحياة قد ابتسمت في وجهه وتصالحت معه، وأن ما يتمناه قريب المنال.
  - وتحدثت عن المشاكل العريضة للبلاد ومعاناة المواطنين، حيث حاولت أن تكشف عن ثنايا المستور وبيّنت لنا بأن الظلم متعدد الوجوه، وأن الحرمان هو من يقود إلى الظلم والتمرد.
  - ونوهت الكاتبة أيضا قائلة أن المظلومين لا يرحمون بعضهم حين تحدثت عن سي موح الذي عاقب ابنته، ليس لخروجها مع لخضر، بل لأن هذا الأخير من المهمشين والمعدمين.
- من الملاحظ أن ياسمينة صالح ركزت كثيرا في حديثها عن مشاكل المواطنين، لكنها لم تبخل في نفس الوقت بتقديم الحلول، إذ أنها تحدثت عن تحمس مدير

الميناء سي منصور ابن الشهيد لفكرة تأسيس نقابة للدفاع عن حقوق العمال لحفظ كرامتهم وضمان إنسانيتهم.

• لكن في الأخير أبقت ياسمينة صالح على خيط الأمل مفتوحا في حياة لخضر وأمثاله من البائسين رغم تلك المعاناة، وأظهرت لنا أن خيط الضوء الخافت سيتخلل الظلمة يوما ما وسيلوح نوره في الأفق.

وهذا ما حدث فعلا، فتمسك لخضر بالأمل هو ما سيمكنه لاحقا من شراء ما يريد ومن أن يسمع كلمة سيدي مخن أصحاب المحلات، وهو ما سيجعله بعدها يدرك بأن النقود هي من تمكن المرء الطمّوح من صنع السيادة، وهي من تمكنه أيضا من الوصول إلى السلطة.

وفي الختام تخلص الكاتبة إلى نتيجة مفادها أن من يملك المال والسلطة قد يرعب الآخرين ويشعر بفخر كبير بنفسه وبقيمة عليا عندما يكون مسؤولا كبيرا على رأس عمله، أي هو الأمر والناهي، ولكن بمجرد أن ينقطع أو يتقاعد أو ينتهي مهامه تسقط عنه تلك الهيبة وذلك الوقار الذي صنعه لنفسه ويتحول إلى مجرد نكرة، لا يقدم وجوده ولا يؤخر في شيء، وهذا الواقع نلمسه في كافة العالم العربي.

# ملحق خاص بـ:

1- بيوغرافيا المؤلفة

2- ملخص الرواية

## 1-بيوغرافيا المؤلفة:

ياسمينة صالح كاتبة صحفية و مترجمة من كتاب الرواية الجدد من جيل الاستقلال الثاني الذين تزخر بهم الجزائر، ولدت في حي بلكور بلوزداد العتيق عام 1969 وهي من أسرة جزائرية مناضلة معروفة، شارك والدها في الحرب التحريرية الجزائرية العظيمة، تلقت دراستها الأولية بمسقط رأسها، انتسبت بعدها إلى جامعة الجزائر وتحصلت على بكالوريوس علم النفس، كما تحصلت على شهادة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية.

صدر لها ثلاثة روايات وثلاثة مجموعات قصصية، بدأت مسيرتها الأدبية بالقصة القصيرة كما أصدرت مجموعتين قصيرتين وهما "حين يلتقي الغرباء" و"قليل من الشمس تكفي" وهي المجموعة القصصية الثانية التي صدرت طبعها الأولى تحت عنوان وطن الكلام نشرت أعمالها القصصية في العديد من الصحف والمجالات الوطنية والعربية ونالت عدة جوائز عن بعض قصصها القصيرة في عدة بلدان منها السعودية، تونس، المغرب، العراق، وبعدها اتجهت كلية لكتابة الرواية حيث صدرت روايتها الأولى "بحر الصمت" عن دار الآداب ببيروت عام 2001 وهي الرواية الفائزة بجائزة مالك حداد الروائية وفي عام 2002 صدرت روايتها الثانية بعنوان "أحزان امرأة من برج الميزان" عن دار العربية، بيروت أما الرواية الثالثة تحت عنوان "وطن من زجاج" صدرت عام 2016 عن دار العربية ببيروت، كما صدرت لها الرواية الرابعة بعنوان "الخضر" في عام 2010 على المؤسسة العربية للدراسات ببيروت. بالإضافة إلى رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا" تغريبية لخضر زرياب وصدرت هذه الرواية عن دار فضاءات بعمان عام 2017.

ويقول الأديب التونسي حسن العرياوي عن ياسمينة صالح "أنها اسم يبدأ الآن ولم ينتهي لأنه ارتبط بالإبداع الجميل الذي يمضي هادئا وثائرا إنها الدم الجزائري الجديد الذي لا يخشى من مواجهة الماضي والتاريخ معا، وهي ببساطة بحر من صمت من النوع المميز".

## 2-ملخص الرواية:

رواية " بعنوان " في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا " "تغريبة لخضر زرياب للكاتبة والأديبة الجزائرية" ياسمينة صالح".

وهي عبارة عن توصيف دقيق للأحداث الإرهابية التي عصفت بالبلاد خلال السنوات الماضية، ويبدو أن الكاتبة وضعت أصبعها على الجرح منذ البداية إذ يظهر لنا ذلك من خلال بداية نسجها الروائي المتين والذي استهلته بوصف دقيق لحياة الفقراء والمهمشين، فبينت لنا كيف تمكن القدر من التحكم في حياتهم وعدم تمكنهم من الوصول لأصحاب القرار والمتنفذين لحل مشاكلهم وكأنها تريد أن تشير بذلك إلى الأسباب التي أدت إلى خلق الإرهاب والتطرف ألا وهي التهميش والإقصاء والظلم الحرمان.

انطلقت الكاتبة في سرد مجريات أحداث الرواية من أروقة العسكر والأمن مبتدئة بشخصية" لخضر "ثم انتقلت بحذق إلى الميناء، وبعد ذلك إلى مخازن المتنفذين ومكاتب الجامعة وساحات التصفية، وغاصت بذلك في أدق التفاصيل والأحداث وانتهت إلى نفس الدوائر الأمنية وركزت بالذات على شخص لخضر الذي تحول إلى جنرال دون أن تغفل الحديث عن الفقر ومعاناة الفقراء والمهمشين والمرضى.

بدأت الكاتبة سردها بأب فقير معدم يعمل حمالا في الميناء لإعالة أسرته ثم يتمكن بالواسطة من تشغيل ابنه معه في الميناء، وتشاء الأقدار لذلك الابن أن يصبح متنفذا يرتدي البذلة الرسمية ويتحول إلى صانع قرار يعتد به بعد أن مارس القتل والإرهاب بتوجيه من سادته الذين وصفوه في هذا المجال وصنعوا منه قاتلا محترفا.

وبأسلوب فني منقطع النظير تمكنت الكاتبة من وضع لتخطيط محكم لسير الأحداث في الرواية وهذا وفقا للخطوات التي رسمتها لخضر وأيضا من خلال متابعه التحولات التي

طرأت على حياته، وتتبعها خطوة بخطوة والتي مكنته من الانتقال من صفوف المعدمين المهمشين إلى مراتب الجنرالات وصناع القرار الذين يحسب لهم ألف حساب. كما أجادت الكاتبة في اختيار شخص "لخضر" لتنسب له دور البطولة في الرواية حيث سيرت لعب أدواره فيها بامتياز بغض النظر عن النهاية المأساوية والحزينة التي رسمتها له في نهاية سردها، والتي تمثلت في الخسائر المعنوية والحياتية التي حصدها ودفع ثمنها بعد أن ترقى إلى رتبة جنرال.

# قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

1. صالح ياسمينة، في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا تغريبه لخضر زرياب، دار فضاءات، عمان، ط1، 2017.

ثانياً: المراجع:

1- المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، مجلد6، دار الصادر، بيروت لبنان، ط1، 2000.
- الفيروز بادي القاموس المحيط ج1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1999.

2- الكتب:

1. ميشال مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز فضلو، دار المعرفة الجامعية، 1999.
2. عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2017.
3. جون ويليام لايبير، السُلطة السياسية، ترجمة إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1974.
4. مكيا فيلي، الأمير، ترجمة محمد بن البار، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 1998.

ثالثاً: المجالات:

1. عبد الرحمن تبرماسين، الباح دليلة: المركز والهامش مفهومه أنواعه جذوره، مجلة قراءات العدد العاشر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها جامعة بسكرة، 2012.

## قائمة المصادر والمراجع

---

2. عبد الرحمن تبرماسين، سورية جيجخ: مقال إشكالية المركز والهامش في الأدب  
مجلة المخبر/ أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 10  
2014.

### المواقع الإلكترونية:

سورية جيجخ، عبد الرحمان تبرماسين: "إشكالية المركز والهامش في الأدب"

[www.Labereception.net](http://www.Labereception.net)

# فهرس المحتويات

4 ..... مقممة

## مدخل

### ثنائية المركز والهامش (المفهوم والمصطلح)

- 1- تعريف المركز ..... 10
- أ- لغة ..... 10
- ب - اصطلاحا ..... 10
- 2- تعريف الهامش ..... 13
- أ- لغة ..... 13
- ب - اصطلاحا ..... 14

## الفصل الأول

### مسرد الشخصيات/ ثنائية المركز والهامش

- أولاً- شخصيات المركز ..... 19
- أ- شخصيات المؤسسة الإدارية والعسكرية (السلطوية) ..... 19
- 1- الكولونيل "قيصل" ..... 19
- 2- الضابط كريم ..... 19
- 3- الضابط جعفر ..... 20
- ب- شخصيات المؤسسة الإدارية (إدارة الجامعة) ..... 22
- 1- السي طيب (مدير الجامعة) ..... 22
- 2- جمال (السكرتير) ..... 24
- ثانياً- شخصيات الهامش ..... 25

أ- شخصيات الهامش (الذكية)	25.....
لخضر	25.....
ب- شخصيات الهامش (المناضلة)	28.....
1- السي منصور (رئيس العمال)	28.....
2- الباهي (الصحفي)	29.....
ت- شخصيات الهامش الفقيرة (البائسة)	30.....
1- السي عثمان	30.....
2- الشيخ إبراهيم	31.....
ث- شخصيات الهامش المختلفة (العائلات)	32.....
1- السي نوح	32.....
2- نجاه الأولى	33.....
3- نجاه الثانية	35.....
4- حياة	36.....
5- حسين زرياب	36.....

## الفصل الثاني

### شخصية لخضر من الهامش إلى المركز

أولا لخضر في الهامش / الرؤية والدلالة	40.....
1- لخضر المهمش داخل أسرته	40.....
2- لخضر حارس في مستودع المتنفذين	41.....
3- شخصية لخضر / الرؤية والموقف	43.....
ثانيا لخضر في المركز / الرؤية والدلالة	45.....
1- لخضر الجاسوس والمخبر	45.....

## فهرس المحتويات

---

46.....	2-لخضر "الضابط" ومدير المركز و"الجنرال"
47.....	3-شخصية لخضر/ الرؤية والموقف
50.....	خاتمة
55.....	ملحق
59.....	قائمة المصادر والمراجع
62.....	فهرس المحتويات

## ملخص البحث:

نسعى من خلال هذه الدراسة للتعريف بطبيعة العلاقة التي تحكم شخصية الهامش بشخصية المركز والكشف عن ازدواجية الدور التي تشهدها شخصية الهامش عندما تتحول إلى مركز، بفعل شخصية مركزية سابقة وكيف تسخر لها كل العوامل والظروف لتصبح مركزا.

ومن خلال هذا المسعى الذي انطلقنا منه، ارتأينا تقسيم دراستنا إلى مدخل وفصلين.

فالمدخل يشمل ثنائية المركز والهامش، المفهوم والمصطلح، وقدمنا من خلاله تعريفات مختلفة تخص مصطلح الهامش والمركز، لغة واصطلاحا، وتناولنا في الفصل الأول: مسرد الشخصيات كثنائية وتعرضنا فيه إلى تعريف شخصيات الهامش، ثم انتقلنا إلى تعريف شخصيات المركز، وبيّنا الأدوار الهامة التي لعبتها جل الشخصيات لتسيير الأحداث داخل الرواية، وبيّنا خاصة دور الشخصيات التي تحولت من الهامش إلى المركز، وأظهرنا أيضا كل التغيرات التي شهدتها سواء ما يتعلق بنمط تفكيرها أو فيما يخص تغيير مواقفها.

أما الفصل الثاني: تناولنا فيه شخصية "الخضر" من الهامش إلى المركز، فكان ذلك على مرحلتين:

فالأولى تعرض لشخصية "الخضر" في الهامش، أما الثانية فتعرض لشخصية "الخضر" في المركز.

وشملت هاتين المرحلتين إظهار شخصية "الخضر" كروية ودلالة وإظهاره أيضا كروية وموقف.

**الكلمات المفتاحية:** الهامش، المركز، الشخصية، الثنائية.